رحاب ابراهيم
في
بيتي
عاهرة صغيرة
إبداع
للنشر الإلكتروني

نوفيلا

في بيتي عاهرة صغيرة

رحاب إبراهيم

إبداع

تصميم

الغلاف: Heba Atef

الداخلي : Ghaynaa

تعبئة ورابط إليكتروني : Ghaynaa

فريق عمل

إبداع

للنشر الإلكتروني

مقدمة

لا نسير بطرق ملتوية ونشكو من منحنيات الطريق....

وكما أن الماء حياة...فمنه الدموع أيضاً..

بهذه النظرية كنت أنا....كنت مزيج بين الخير الشر ، الأبيض والأسود ، الثلج والنار....ولكن مكامن الشر بي غلبت الخير....وأخذ الأسود حيز أكبر من مساحته بحياتي....ولم تستطع قطعة الثلج في عجاف عمري أن تطفأ نيران تمردي.....ولا أن تغفو طموحي وشغفي بالمزيد..

أعصي وأطوف بالحياة مغترة بعمري الصغير....ارتكب الذنوب مثل الجميع...

وأردد "سأتوب غدًا " ويأتي غدًا ولكن التوبة لم تأتي معه !!

كان بعمري العشرين افكار أكبر منه ، أنوثة صارخة استعجلت المجيء فأتت دفعة واحدة ليشب جسدي صبا وجمالًا....

غرني شبابي لنقطة بعيدة صعب العودة منها....حتى أصبحت فجأة فتاة لا تكترث كثيرا للغد...ولا للأقاويل...معللة أنني لا اجعل رجل يقترب مني...ولكني اسمح وابيح بسهولة رؤية الرجال لحركاتي وغنائي بفيديوهاتي التي

أصبحت شهيرة على أحد التطبيقات بالشبكة العنكبوتية..

ولأن الخطوات الخاطئة مثل زروع الشوك...فسيأتي يوم وتغطينا الأشواك وينفر منا الجميع....وتتساقط حياة الورد..

بغرفتي اجلس وأمامي شاشة "اللاب توب" الذي لم اتجرأ على شرائه الا بعدما أصبحت فتاة مشهورة بين المراهقين بسبب الفيديوهات التي اردد بها كلمات المقطوعات الغنائية واتمايل بحركات راقصة...ربحت كثيرا من المال بعدد المشاهدات ولكن اطمع بالمزيد والأكثر...

جاري تحميل الفيديو الآخير الآن....تم الأمر بنجاح

مشاهدة...اثنان....الف ، مليون....وكلما زادت

المشاهدة...زادت أرباحي ،ونقص

حيائي.....حفلة مشاهدة فاسدة يراها

الملايين....فأربح مع المال ذنوب

كالأثمين.....المال بيدي اليوم...وغدًا مجهول...

****

الفصل الأول

أمام أحد المنازل الضخمة الشبيهة بالقصور وبابه الحديدي الأسود النظيف.....سقطت بعض عبرات المطر وكأنه ندى الصباح الجميل بظلال الربيع....كان بالهواء عطر خاص لا يشبه عطر مر بأنفاسها من قبل....كأنه رحيق الريحان المُعتق...أخترق أنفاسها بنسمة رقيقة..

دقت الساعة السادسة صباحًا...

وقفت تلك الفتاة التي ترتدي رداء ضيق بلون الكرز يبرز مفاتنها بقوة مع مساحيق تجميل لا تناسب هذا الصباح الشتائي مطلقاً...وتغنج شعرها المصبوغ على كتفيها بتمرد... تسمى

" صابرين"

أشارت "صابرين" بحماس لصديقتها التي لم تكن أقل منها تبرج ولكن الفتاة الأخرى هي المسؤولة عن أخذ مقطع فيديو بكاميراتها الخاصة ودمجه مع مقطع غنائي من الأغاني الشعبية وتحميلها للمشاهدة وكسب المال...ملثما اعتادوا منذ ستة أشهر تقريبًا....قالت صابرين بحماس :

« توقفي هنا يا " شادن " هذا المنزل وكأنه قصر أحد الملوك بفخامته هذه!! مناسب لتصوير الفيديو...هيا استعدي بالـ "المهرجان الشعبي " والتصوير وأنا سأستعد بالإلقاء وبعض حركاتي المثيرة.... سأقف أمام هذه البوابة السوداء الضخمة....تبدو مناسبة مع ردائي الأحمر المثير

هذا اليس كذلك ؟ »

برمت "شادن" شفتيها ببعض السخرية والحقد الخفي من جمال هذه الفتاة المغرورة وقالت :

«تواضعي بعض الشيء صابرين !!»

رفعت "صابرين" حاجبيها بمزيد من الغرور....تعرف أنها فاتنة ويحق لها التدلل والثقة.. تظن بسذاجة أن ما من رجل يجترأ على مقاومتها...ولا أن يقع بشراكها

بدأ التسجيل وتحركت "صابرين" بابتسامة واسعة وتمايل جسدها بدلال مع حركة شفتيها مع المقطوعة الغنائية بتناسق مدروس...

لم يكن بهذا الوقت مارة بالطريق ريثما أن هذا المنزل أمامه ممر ضيق نادرًا ما تسير فيه السيارات...وقلة المارة بسبب ساعات الصباح

المبكرة...

ومع علو صوت الموسيقى المرتفعة من هاتف "شادن" وكأنه مذياع ! اندفعت "صابرين" بحماقتها وما تفعله....

****

انشغل حارس بوابة الفيلا في تنظيف السيارة الخاصة بالكراج لـ " لفارس عمران" فارس عائلته وقرة عين والديه وفخرهما....

شاب لم يكترث كثيرًا لوسامته الشديدة...تزين وجهه لحية خفيفة سوداء....رسمت بعينيه الرحمة وأشرق قلبه بشمسٍ لا تغيب عندما حفظ كتاب الله في الثانية عشر من عمره برعاية والديه الذي حرصا على ذلك ولم يغرهما المال لحياة الصخب والسعي خلفه وأهملا

أطفالهما...وهو الآن بعامه الثلاثين يعمل بمجال الترجمة ويشغُل منصب مدير تواصل بأحد الشركات العالمية التي لديها فرع بالقاهرة.

دق الحارس على زجاج نافذة السيارة المغلق لينزلق الزجاج للأسفل اتوماتيكًا ويظهر منه وجه "فارس" الذي وكأنه تبتسم له الزهور من أشراقته وضياه...ولكن يبدو أن نور قلبه غلب وسامته الأخاذة فحتى حارس البوابة كان يتطلع به بعض اللحظات بإعجاب وتمنى أن يكن مثله ولو ليوماً واحد ويسلب قلوب الفتيات من النظرة الأولى دون أدنى مجهود أو التفاته....قال الحارس ببعض الضيق :

_ « أعتذر سيدي....هناك فتاة بالخارج تثير ضوضاء وضجيج لا أفهم له سبباً....دقيقة

واحدة وسأطردها وأفصح الطريق لسيارتك..»

أطرف "فارس" برموش عينيه السوداء الطويلة وظن أنها قد تكون أحد الفتيات الأيتام التي تولى رعايتهنّ وربما حدث لأحداهن مكروه وأتت إليه تستنجد به مثلما حدث من قبل....أشار فارس للحارس وقال بحسم : « لا....دع هذا لي... »

قال الحارس بدهشة : « ولكن سيدي هذا لا....»

قاطعه "فارس" بحزم وأضاف :

« أترك الأمر لي يا "حسين" ، أذهب للبستاني واكد عليه تهذيب الأشجار بعض الشيء فإنها طالت حتى نافذة غرفتي!....»

أطاع الحارس الأمر وذهب باتجاه الحديقة بينما ترجل فارس من سيارته ومضى بالخطوات حتى

البوابة الحديدية....

فتح القفل الداخلي للبوابة ثم سحب الباب بالتدريج ليتفاجأ بفتاة تدور حول نفسها على أنغام الموسيقى الذي لشد ما كان يكرهها وبالأخص الموسيقى المسماة بالـ "مهرجانات " كانت "صابرين" تصيح بضحكاتها وتردد المقطوعة بمرح حتى صفعت بعض خصلاتها الطويلة خده بحدة....ضيق" فارس" عينيه السوداء بدهشة مما تفعله هذا الفتاة التي يظنها أصابها نوبة من الجنون !

شعرت "صابرين" بالدوار من الالتفاف وعندما قصدت الاستناد على الباب الحديدي فأن يديها وقفت على صدره العريض الذي برزت منه عضلات كتفيه من قميصه الابيض.. وناقض لون

لحيته وعينيه .....تلك الرائحة العطرة التي تسربت منه عبأت أنفاسها بقوة منذ قليل وكأنها نابعة من أنفاسه....وقفت عينيها على عينيه في سكون وكأن الكون توقف حولها برؤيته.....

وتوقفت شفتيها عن الضحكات ولكن القلب يبتسم لأول مرة ، ويدق لأول مرة ، ويبدو أن دقته الأولى خطفت أنفاسها كي يغرق الصوت في بقعة بعيدة عن شفتيها؟

ابتعد "فارس" وهو يدير رأسه لجهة أخرى ويتمتم بالاستغفار....أمارات الضيق بعينيه واضحة...وكأن جمالها لا يسوى بنظره طرفة عين !

أجفلت عينيها كأنها تقول له لا تبتعد...أبقى قليلًا ، أو أكثر من القليل...ابتسم حتى ! ألا ترى أن

من وضعت يديها على صدرك رائعة الجمال ؟!

لماذا كل هذا الضيق بعينيك مني؟!

كانت تحدث نفسها وهي تنظر له بصمت تام ، عينيها عليه لا تحيد...وابتسامة ارتسمت على ثغرها خاصته بها...

نظر إلى جهة أخرى وهو يتحدث بشيء من العصبية ولكنه رغم ذلك تحدث بأدب :

_ « أعتذر ...ولكن يجب أن تتوقفي عن ما تفعلينه بالطريق وبالأخص أمام منزلي..هذا غير لائق بالنسبة لفتاة !»

يا الله...حتى نبرة صوته القوية سلبت قلبها...ما هذا الرجل ؟! اعتقدت للحظة أن لا يوجد رجل بالعالم يجابهه وسامة وثبات...لابد أنه يوجد ولكنها لا ترى غيره بهذه اللحظة...أهذا هو

الحب ؟! من النظرة الأولى !

تحاور المكر بعينيها....بدأت شياطينها تُشيد الطرق إليه...استقامت الطرق أم تعرجت ستصل إليه...

تعمدت نعومة صوتها الزائدة عن الطبيعي وهي تجيب :

_ « ولماذا تعتذر فأنا المخطئة ! ، فقط علمت بخبر سعيد انتظرته طويلًا جعلني هكذا...اعتذر منك يا....»

توقفت عن قصد بابتسامة ماكرة وانتظرت حتى يخبرها باسمه ولكنه لم يفعل...فقط هز رأسه دون أن ينظر لها وقال سريعاً :

_ « لا داعي للاعتذار فقط ابتعدي عن الطريق قليلًا حتى استطع الخروج بسيارتي...»

عاد "فارس" لسيارته بالداخل دون أن تجيبه هي....تأملته "صابرين" بنظرات مدققة ، لطوله المنيف ، ولجسده الرياضي المتناسق... لا تصدق أن ما تراه عينيها حقيقة...لا ترى به عيبًا واحد !! أهذا الشاب الذي لم ينظر لها سوى نظرة واحدة لمدة خمس دقائق حديث اربك اتزانها لهذا الحد !! ومن كلماتٍ بسيطة جدًا لا تكن سوى حديث غرباء !

اسرعت إليها "شادن" وجذبت يدها لتقف بعيدًا عن مدخل البوابة وقالت بدهشة :

_ « قال ابتعدي !! ألم تسمعيه ؟! حمدًا لله أنني كنت بعيدًا عنكِ وإلا كنت أخبرته بأعجابي به.....وسيم لدرجة مُهلكة هذا الشاب ! ولكنه

يبدو مُعقد ! أنه حتى لم يريد أخبارك اسمه !»

وقفت "صابرين" صامته..شاردة، حتى خرجت سيارة "فارس" ومرت أمامها سريعاً....ظهر نصف وجهه من نافذة السيارة...ابتسمت بنظرة متحدية وقالت :

_ « أعشق هذا النوع...الذي يثير جنوني حتى يسقط ببراثني مترجيًا موعد أو مكالمة ! ولم أنكر أنه أثار جنوني منذ الآن...»

مطت "شادن" شفتيها ببعض السخرية وقالت :

_« لا أعتقد أنك ستربحين هذه المرة...ألا تري وجهك عندما رأيته؟! للحظة ظننتك ستنفعلين ولكنك خيبتي ظني ! وقفتِ أمامه كالتمثال !»

هزت "صابرين" رأسها بابتسامة ونظرة عينيها

تنم عن شيء تخطط له فقالت :

_ «أن استطعتِ أن تأتِ بكافة المعلومات عنه فلكِ عندي هدية ستسعدك.. »

رفعت "شادن حاجبيها بذهول :

« هدية !! أنتِ تعطي الهدايا ؟! أنت بئر يأخذ فقط ! ولكن سأفعل ذلك وسأنتظر صدقك أيتها الكاذبة..»

قالتها شادن باستهزاء ثم رحلوا من المكان سويـًا...

****

بأحد المستشفيات الكبرى.....

غرفة بيضاء يتخللها اللون الأزرق على

جوانبها....يكثر اللون الأبيض بالغرفة بينما ما تراه تلك الفتاة الكفيفة التي تجلس على الفراش لا يتعدى سوى بقعة كبيرة سوداء أمام عينيها...لازمتها منذ أن أتت بهذه الحياة...تحجب الرؤية عن كل شيء.

تجلس شاردة ، تشوب نظراتها عبق الألم وبعض الدموع...كان هذا آخر أمل لديها ولكنه أذيب وتفتت إلى الأبد....مثلما أخبرها الطبيب التي انتظرته منذ الأمس بعد حجز هذه الغرفة بالمشفى....

دلف " فارس" للغرفة باشتياق فاق نبضات قلبه حتى انتبهت لخطواته "مريمة" وشقت ابتسامة بسيطة ملامحها التي انزلقت عليها الدموع....فقد شعرت به دون أي دليل يعلن

وجوده...خيط وصل بينهما لا يراه سواهما..

وقف "فارس" للحظة يتطلع لدموعها بألم يصفع قلبه حتى أسرع الخُطا إليها وضم رأسها إلى صدره بمحبة غلبت كل شيء بكيانه..قال بعتاب :

_« ألم تنتظري "مريمة " حتى مجيئي ! لا يهم ما قاله الطبيب صدقيني...»

ربت على رأسها المحجب بحنان لتقل هي وقد أرادت إبعاد الضيق عنه :

_ « وكيف علمت أن الطبيب فحصني ! أم أخبرتك زوجة أبي بالخارج.. »

أحاطت يديه وجهها الصغير وعينيها التي استوطنت البراءة فيهما وأجاب بحنان :

_« أخبرتني دموعك يا رفيقة روحي...دموعك

لا تسقط على خديكِ بل على قلبي..أتعذبي قلبي وأنتِ ساكنته ؟!»

مد بصرها بمستوى قلبه وهو ينظر لها بعذاب لآلامها فقالت بدموع :

_ « كان آخر أمل لي فارس...كنت أتأمل أن يكن ولو نسبة بسيطة في الشفاء...أنا أريد رؤيتك ، وأريد أن اجلس بيوم زفافي وأرى السعادة بعينيك ، وأريد أن أراك وأنت تنظر لي وتدللني ب "تَمرتي" »

قاطعها "فارس" وأغمض عينيه بتمزق يثار بقلبه كلما مرت دموعها أمام عينيه....مرر يده على رأسها برفق وقال :

_« السعادة لا تُرى بالعين ، السعادة لا يراها

سوى القلب ، إذا ما أبصر القلب من سعادة لن تراها العين مهما رأت...»

ثم أضاف بلطف:

« كفى ألم ، وكفى فحوصات طبية لا تفعل شيء سوى أنها تبكيكِ....سأذكرك بشيء ربما جعلك تبتسمين....»

جلس أمامها على مقعد وأخذ أنامل يدها في ربته حنونه وقال :

_ « هل تتذكري يوم عقد قراننا منذ أسبوعين...أول مرة أخبرك بعشقي لكِ منذ سنوات...انتظرتك حتى ختمتِ عامك التاسع عشر بشق الأنفس...»

مسحت عينيها وبدأ الحياء يأخذ من ملامحها

العبوس بينما ترددت ابتسامة خجول على ثغرها وقالت بتلعثم :

_ « اعتقد أنني لا أتذكر شيء أكثر من هذا اليوم...»

قال بابتسامة ونظراته على وجهها الحبيب :

_« ألم تقوليها يا قاسية ؟ أنا زوجك الآن...الا استحق كلمة أحبك ؟»

سحبت أناملها التي ترتجف من يده وقالت بحياء : « تستحق وأكثر ولكني ثابته على رأيي...»

اتممت جملتها بابتسامة طفولية وكأنها تتحداه ، لافته جعلت ابتسامته تتسع من براءتها ، حتى صوتها لم يخلو منه طفوليتها المعهودة...أجاب بمكر : « أوافق حتى نهاية هذا الشهر فقط..»

قالت مبتسمة : « سيكن زفافنا...أنت ماكر !»

تنهد براحة من ابتسامتها وقال :

_« معكِ فقط اكن طفلاً يمرح مع ابتسامتك ، ورجل يعشق كل لمحة براءة وأنوثة بكِ...أنتِ حديث القلب سراً عند السعادة وأمنيات كثيرة أتت دفعة واحدة...أحيانًا أخاف على قلبي عندما أراكِ!»

التهب وجهها الصغير بحياء وابتسامة ترتجف على شفتيها وقالت :

_ « أردت ابتسامتي....ولك ما شئت...»

ربت على أناملها الرقيقة وقال بابتسامة ونظرة تنبض بالعشق :

_ « جعلك الله ابتسامة ترافقني حتى أنفاسي الآخيرة...»

******

هجرت الشمس لهذا اليوم وأتى المساء الشتائي البارد....بداية الشتاء والمطر هكذا !! تعجبت "صابرين" وهي تتوجه إلى نافذة غرفتها وتغلقها بإحكام حتى لا تتسرب قطرات المطر البارد والصقيع لغرفتها.....عادت إلى فراشها بابتسامة وكررت رؤية الفيديو المسجل صباح اليوم تقريبًا للمرة الخمسون !! تمعنت النظر به أكثر في كل مرة عبر شاشة هاتفها...

بكل نظرة كأنها تتعرف عليه أكثر....كل رمقة وكأنها تخبرها شيء عنه!! كان بين مكرها في الإيقاع به شيء جديد العهد عليها..ولكن لا تنكر أن أحد الاسباب كان عدم اكتراثه بها....وغض

بصره ببساطة عنها ، نادرًا ما صادفت ذلك..

ظهر على شاشة الهاتف فجأة رقم صديقتها "شادن" فأجابت "صابرين" بلهفة حتى سردت شادن كافة المعلومات عن "فارس" وذلك بإرسالها أحد أصدقائها الشباب لمنزله واجترار الأحاديث مع حارس المكان حتى علم كل شيء.....

انتفضت "صابرين" من فراشها بصدمة وهتفت بسخط :« متزوج!!... »

وضحت" شادن" الأمر بهدوء :

« عقد قرانه منذ أسبوعين تقريبًا ، ولكن الزفاف بنهاية الشهر الحالي...هذا ما قاله "حاتم " صديقي ، وهذا ما علمه من الحارس. .»

اشتعلت نظرة "صابرين" بنيران متقدة ، وكراهية لفتاة مجهولة تُعد عائق في طريقها اليه ، ولرجل اعلنت الحرب لتمتلكه وهي لم تراه سوى مرة واحدة !!

قالت "صابرين " بحقد : « لا تنتظريني لبضعة أيام... سأتغيب قليلًا ولكني سأعود عما قريب..».

هتفت "شادن" بعصبية : « صابرين !! ما هذا الهراء الذي تفعلينه ! لا تقولي لي أنك ستخطفينه !! لماذا الغياب إذن ؟! »

جلست "صابرين" على أحد المقاعد ووضعت ساق على ساق بثقة ونظرة تستعد للقتال :- صدقتِ في الظن...نعم سأخطفه ولكن بطريقة أخرى....سأذهب إلى منزله وامكث فيه بأي

طريقة حتى اجعله لا يستطع النظر لغيري...سيأتي الزفاف ولكن العروس ستكون أنا.

فغرت "شادن" فاها من الذهول ثم قالت ببطء:

« أنتِ جننتِ بالتأكيد ؟!

ارتفعت ضحكة "صابرين"بثقة عالية ثم مضت إلى مرآة الحائط ونظرت لنفسها عبر المرآة بثقة وغرور...ثم أضافت بتحدي :

_ « ربما... حتى لو اضطررت لأن اعمل كخادمة واظل بجانبه سأوافق مؤقتًا...»

هتفت "شادن" بانفعال مرة أخرى وتساءلت :

_ « ووالديك !! ماذا ستخبرهما ؟!»

تنفست "صابرين" بنفاذ صبر وقالت بسخرية :

« والداي ؟! احقاً ما تقوليه؟! هل أبي السكّير دائمًا سيكترث لذهابي؟! أم أمي التي تزوجت رجلًا آخر ولا اسمع صوتها سوى بالأعياد ؟! لا تخبريني أنك تقصدين زوجة أبي الحقيرة التي لا تبتسم بوجهي إلا إذا وضعت بيدها حفنة جنيهات لتصمت وتبتعد عني !! من الذي سيكترث لأمري إذا حتى اختفيت للأبد ؟! اخبريني !! »

زفرت "شادن" بحنق ثم تساءلت بجدية دون شفقة لما قالته "صابرين":

_« كم من الوقت ستستغرق هذه المغامرة الساذجة ! يومان ؟ ثلاث ؟»

أجابت "صابرين"بتأكيد : « ليس أقل من أسبوع

بالتأكيد....سأتصل بك عندما أعود..»

اغلقت "صابرين" الهاتف دون أن تسمع اعتراض شادن الغير مهم بالوقت الحالي...لقد أصبح ذلك الفارس هوسها بين يوم وليلة !

أخذت نفس عميق ملء رئتيها ثم قالت بنظرة متحدية:

_ « وما المانع لو عملت كخادمة عدة أيام...سأكن بالنهاية أميرة هذا الفارس..»

****

الفصل الثانى

مر يومان.....

بممر طويل بالطابق الثاني من الفيلا....فصلت زاوية كبيرة الغرف عن بعضها البعض وخصصت لساعات الصباح وشرب القهوة ريثما بعد إصابة والدة فارس منذ عدة أشهر بمرض جعل حركتها ثقيلة...ولم تستطع الصعود والهبوط على الدرج مثل السنوات الماضية... وحتى يتثنى للعائلة الاجتماع مع ضوء الشمس الذي يُهاجر ربيعه..

جلست والدة فارس بعدما ذهب ولدها لعمله على أحد المقاعد بهذا المكان الذي يشبه الشرفات..

ارتشفت قليلًا من مشروبها الساخن حتى أتت مدبرة المنزل "نعمة" وأخبرتها بشيء....قالت بهدوء :

_« سيدتي...هناك فتاة تصر على رؤيتك لكي تعمل هنا ، سئمت من إخبارها بعدم حاجتنا لذلك ولكنها لم تكترث بقولي ! »

رفعت السيدة "حكمت" رأسها إليها ونظرت لها بعينيها التي تجمع حولها عدة خطوط تسرد سنواتها الخمسون....قالت المرأة بلطف :

_« حسناً....دعيها تأتِ وسأخبرها...»

تلقت مدبرة المنزل الأمر وذهبت لتسمح للفتاة بالدخول للسيدة "حكمت"

مرت دقائق حتى شعرت "حكمت" بخطوات تُشبه خطوات الصغار التي تتسلل بمكر فالتفتت

بثبات لتجد فتاة لا تعطيها أكثر من الثامنة عشر عاما بجدائلها المائلة لحمرة صارخة....ابتسمت السيدة "حكمت" بلطف وقالت :

_« أردتِ رؤيتي.. ما اسمك أولًا ؟ »

نظرت لها "صابرين" التي تخلت عن مساحيق التجميل وملابسها المثيرة التي ابتاعتها مؤخرًا من ماركات شهيرة وعادت تلك الفتاة الفقيرة بملابسها البسيطة جدًا قبل أن تغرق بعالم الميديا ووسائل التواصل بحثاً عن المال....أطرفت عينيها وكأنها تحرك موضع البراءة المزيفة بداخلها لتدعمها بالحديث وتؤثر على هذه السيدة العجوز....قالت وهي تفرك يديها ببعضهما وتنظر للأسفل بتظاهر وعبوس...قالت بصوت

متهدج : « صابرين...»

ثم أضافت بدموع زائفة بعينيها :

_« أريد العمل هنا ارجوك...صديقة لي أرشدتني إلى هنا نظرًا لسمعتكم الطيبة...و....»

صمتت صابرين ولم تتابع...كان الصمت بعد ذلك ضمن خطتها....تساءلت السيدة "حكمت" التي أثرت بها دموع صابرين وبدأت تميل للموافقة :

« و ماذا؟ تابعي ياصغيرة....»

تابعت "صابرين" وعبراتها الماكرة تتمايل على وجنتيها :

_« ليس لي أحد...ولا مسكن ، بحثت عن عمل لمدة طويلة وبكل مرة كنت ارحل باليوم التالي أو بعد أيام قليلة بسبب المضايقات التي تعرضت

لها...وأيضاً عملي هنا يسهل ذهابي للجامعة لأنها قريبة من هنا..أنا طالبة..»

تطلعت بها السيدة "حكمت " بتعجب:

_« هل ستستطيعين الربط بين العمل والدراسة دون التقصير بشيء فيهما ؟! »

صححت "صابرين" سريعاً :

_« لا...أنا اذهب للدراسة يومان بالأسبوع فقط...عدة ساعات قليلة وأعود مجددًا..اعدك أن قبل ذلك سانهي عملي كاملًا بالصباح قبل أن أذهب...أعطني فرصة ارجوك..احتاج للعمل كثيرًا...لا أريد العودة للتسكع بالطرقات والنوم على الرصيف....»

نظرات "صابرين" الراجية المتوسلة جعلت

السيدة تشعر بالشفقة عليها ورق قلبها لهذه الصغيرة...وشعور آخر بالضيق من نفسها..فلو تركت فتاة صغيرة فاتنة الجمال كهذه تذهب...الله وحده يعلم ما سيحدث لها.....

قالت السيدة بابتسامة لطيفة وهي ترفع كوب مشروبها الفارغ وتوجهه إلى "صابرين":

_« إذن أعطي هذا لـ"نعمة" بالمطبخ واجعليها ترشدك لغرفتك الجديدة...هي تعرف كل شيء..»

كادت "صابرين" أن تقفز من شدة الفرحة ، أولى خطواتها نجحت ببراعة لم تتوقعها حتى....فقد وضعت خطة بديلة بحال رفض السيدة "حكمت" عملها بالمنزل.....

شكرتها "صابرين" بنظرات امتنان ثم أخذت

الكوب الفارغة وركضت للطابق الأرضي....لحظات مرت وأتت مدبرة المنزل بنظرات بها عدة أسئلة....قالت " نعمة" :

_« سيدتي.. هل وافقتي على توظيف الفتاة حقاً ؟! »

هزت "حكمت" رأسها بالموافقة فتابعت نعمة بتعجب :

_ « ولكنك لا تعلمي عنها شيء لكل هذه الثقة ؟! تعجبت أنك حتى لم تتأكدي من بطاقة هويتها الشخصية ! »

عبست حكمت فقد اثرت بها الفتاة لدرجة انها غفلت عن هذا الأمر حتى طمأنتها "نعمة" :

_« لا تقلقي...فعلت ذلك عندما ادركت الأمر لأني أعرفك تمام المعرفة...وأعرف قلبك الطيب...تأكدت من هوية الفتاة وأخذت صورة سريعة بهاتفي من بطاقتها الشخصية.... الاحتياط واجب...»

ابتسمت "حكمت" لها وقالت بمحبة :

_« دائمـًا أنتِ منقذتي يا نعمة....حفظك الله..»

بادلتها "نعمة " ابتسامتها بمحبة صادقة وقالت شيء مر بخاطرها :

_« كنت أريد أن اسألك على الآنسة "مريمة" أميرتنا العروس...»

تنهدت حكمت ببعض الألم وقالت :

_ « هي بخير ، تحدثت معها بالأمس كثيرًا....كانت حزينة لما قاله الطبيب مؤخراً

ولكنها تؤمن بالله وبرحمته....الحمد لله على كل حال »

رددت "نعمة" الدعاء ثم قالت بحنان :

_« الآنسة "مريمة" تستحق كل خير...ليت الأيام تمر سريعاً حتى تأتِ إلى هنا وتكن بيننا...أحبها كثيرًا..»

قاطع حديث مدبرة المنزل دخول "صابرين" وهي تقول بلهاث من الركض والابتسامة الواسعة على شفتيها فقالت لنعمة :

_« عفوا...الحارس يسأل عنك يا خالة..»

اتسعت عين "نعمة" من كلمتها الأخيرة فكتمت "حكمت" ابتسامتها حتى استأذنت نعمة بنظرات غيظ لـ"صابرين".....تعجبت "صابرين"

وتساءلت :

_ « هل اخطأت ؟! »

قالت "حكمت " بابتسامة مرحة :

_« نعمة لا تحب هذه الكلمة ، تستطيعي

مناداتها ب " أم علي"

تفهمت "صابرين" الأمر سريعاً ، ويبدو أنها

ستتحمل أشياء كثيرة حتى تصل لغايتها...ومنها

تلك العابسة دائمًا المسماة "أم علي" »

****

بالمساء....دقت الساعة الواحدة ليلًا...

عاد للمنزل متأخرًا إثر تعطل سيارته وأخذ العطل

وقتً حتى تم تصليحه...

لم يُفضل "فارس" ازعاج من بالمنزل عند

عودته فتوجه لغرفته مباشرةً وهو يتحدث

بالهاتف.....قالت "مريمة" بنبرة طفولية وعتاب

بالهاتف :

_« هل تعمل حتى الساعة الواحدة ليلًا ؟! ظننتك

نائم وكنت ايقظك لصلاة القيام....مع السلامة

إذن..»

ابتسم "فارس" بمحبة وهو يفتح غرفته وأجاب

عليه بمشاكسة :

_« تريدينني بسلام وتذهبي وأنتِ سلامي !!

أهذا العدل يا منصفتي ؟ »

تسللت ابتسامة لشفتيها وقالت بتلعثم : «

ماكر..»

دلف لغرفته والابتسامة التي تغرق عينيه عشق

بمجرد سماع صوتها....أجاب: « طفلتي.. »

كلمته الأحب إلى قلبها...ويبدو أنه يتلذذ

بقولها...أو بالأصح ارباكها..

بدلت مجرى الحديث عندما التهبت عينيها بالحياء وقالت :

_« استعد لصلاة القيام....هل لا زلت تدعو لي ؟ أعترف »

جلس فارس على الفراش وبدأ يخلع حذائه بينما يده تضغط على أذنه بهاتفه...أجاب مبتسما :

« وهل ادعو لأكثر منك..ادعو لجميع أحبائي وأنتِ جميعهم....»

صمتت لحظات....تأخذ حديثه وتلون به عالمها المظلم ويبدو أنه منذ عقد القران ويقصد تدليلها بكثرة.....قالت بمشاكسة :

_« تدللني بالحديث...تنتقي من الكلمات ما يشبهني حتى أراني بكل كلمة...أنا أنظر إلي

بكلماتك...فرفقاً أصدق القول ولا تجاملني حتى تصح رؤيتي أمام روحي وعيناي الكفيفة...لا تُريني بالكلمات فتاة أخرى غيري فأنا اخترتك مرآتي التي رحمت ضعفي وأخبرتني عن صفاتي عندما لم تصل لعيناي الرؤية.. »

قال "فارس" بوخزة في قلبه لحديثها :

_« مريمة يا تمرتي...عين المحب ربيعية الرؤية...لا ترى سوى الأغصان المزهرة حتى في عبوس الملامح....ترى الجمال أجمل ،وترى البساطة سحرًا متخفي...تُعطي للعيوب الف عذر ومبرر لتكوينها...وأنتِ تظنين تدليلي مجاملة ؟!

»

أغمضت عينيها بابتسامة هائمة بكلماته التي تعرف الطريق لقلبها دون تعثر....قالت ببطء

وتظاهرت بالجدية قليلًا لتُخفي توترها:

_« اتفقت مع زوجة أبي على زيارتكم غدًا....أظن أنه عطلة لديك ؟ »

أجاب بسعادة لرؤيتها :

_« جيد....سأنتظرك من الآن...اشتقت لرؤية روحي بعينيكِ وقلبي بطرفاتهنّ...»

قالت بنبرة نمّت عن الألم : « عيناي الكفيفة !! »

صحح بقوة ونظراته تقل أنه يرفض أن ترى نفسها هكذا :

_« عينيكِ العفيفة...التي لم ترى شراً ولا مكروهاً مما يحدث حولها...»

تابع حديثه بانتباه شديد لهمس صوتها الحنون المائل لصوت طفلة ولكنه لم ينتبه للذي تقف

وتتنصت أمام باب غرفته المُغلق بابها...

****

إلى هنا لم تستطع "صابرين" مواصلة التنصت على حديثه بعدما ترقبت عودته لعدة ساعات حتى أتى...أخذت المشروب الذي أعدته مسبقاً وكان من ضمن خطتها في مواجهته باللقاء الأول بهذه الساعات المتأخرة من الليل....وابتعدت بقلب ملتاع من ضباب القهر تأججت العداوة بداخلها لهذه الفتاة التي لم تراها من قبل...تقف كالغصة بالحلق بينها وبينه...بدت خطواتها سريعة وهي تنحدر من الدرجات حتى الطابق الأرضي...وبداخل المطبخ دفعت كوب العصير أسفل صنبور المياه بعصبية

شديدة....كانت تلهث وفسرت عينيها النيران التي تحتدم بداخلها....تمتمت بغضب :

_« يحبها إذن !! هذا ما كان ينقص ! »

التمعت عينيها بدموع وحسرة فجأة مع شدة غضبها...لما كل هذا الحب لم يكن بقدرها ؟! لما لم تكن تلك الكلمات إليها !! لما التقت به واقبلت على ما تفعله دون رمقة ندم !! كأنها سُحرت بشيء غريب بعينيه جعلها تقدم على خطوة كانت ابعد حتى عن أحلامها...ريثما بعد لقاءً وحيد!

لتجد نفسها هنا وتعمل خادمة فقط لتكن قريبة وتحتل حصونه !!

وكيف الحب يجعلنا أحياناً حمقى لهذا الحد !!

ولكن عن أي حمق تتحدث وهي من تسربلت

بخيوط التمرد سابقاّ....حتى قل حيائها وأصبحت ترى ما تفعله من أخطاءً شيء طبيعياً...

تبعثرت الدموع على وجنتيها حتى استجمعت بعض شتات فكرها وكادت أن تغسل الكوب المسكوب محتواه بحوض الماء حتى تجمد جسدها فجأة....أهذا صوته أم تتوهم ؟! يُلقي عليها السلام !!

جف ريقها من المفاجأة التي لم تكن تتخيلها...على الرغم من تدبير خطة للقاء الثاني ولكن بعد أن ركضت إلى هنا لم تكن على استعداد كافٍ للقائه الآن....

أتى للمطبخ ليُعد مشروب سريع منعش اشتاق له ولم يرد ازعاج أي من الخدم بهذا الوقت...ولكنه وجد فتاة تواليه ظهرها فظنها أحدى الخادمات

فألقى السلام معتذراً....كان سيعود لكراهيته بانفراده مع امرأة بهذه الساعة الليلية...ولكنه تفاجأ بسقوط الفتاة مغشيـًا عليها...

كان بسقوطها تغيير جذري لخطتها...سقوط مُدبر نسجه فكرها سريعاً...ترى ماذا سيفعل بها ؟ هيا لتعرف إلى أي مدى تكن قوة مقاومته..

اتسعت عينيه وساقته قدميه إليها سريعاً دون تفكير...فقط لإسعافها ولكنه تفاجأ بفتاة غريبة....ملامحها وكأنه رأها من قبل !!

فطنت "صابرين" أنه لن يتعرف عليها ببساطة...فبلقائها الأول معه كان وجهها تخفيه مساحيق التجميل الصارخة مع عدسات لاصقة ملونة باللون الأزرق...تغيير كلي لملامحها دون شيء...ولكنها مع ذلك تبقى فاتنة...مغرية لأبعد

الحدود...

أخفى عينيه عنها ونظر بحيرة...وقعت عينيه على قنينة ماء بجانب صنبور المياه فأستقام لأخذها....ظنته "صابرين" انه ربما سيستنجد بأحد ويستيقظ كل من بالمنزل فتظاهرت بتمتمة بسيطة وكأنها بدأت تفيق !!

سكب "فارس" قليلًا من المياه براحة يده ونثر بضع قطرات على وجهها من بعيد....

حركت جفنيها ببطء واجتهدت حتى لا يشك بالأمر...كان يجثو بجانبها يطرف عينيه برجاء أن تفيق ولا ينظر سوى بمراقبة عينيها التي بدأت تبوح بالنظر....

تطلعت به بعد لحظات بنظرة لم تستطع سوى

اظهار العتاب والألم بها...ربما كان أصدق ما فعلته للآن هي تلك النظرة المرسلة إليه...وضعت بها حق لم يكن حقها...قال متسائلا واخفى سؤاله الأهم بهويتها : « هل أنتِ بخير ؟ »

صوته هذا مجددًا...كأنها اصبحت مسحورة به كليًا لتجد نفسها دون وعي ترتمي على صدره وتبكِ....لم يكن ببكائها تصنع...نهض بعصبية وابتعد عنها وبعينيه غضب وترها....نظرت بحسرة وهي تضم يديها لموضع قلبها وتابعت بكائها كالطفلة المعاقبة....لم تجسر على النظر إليه بعدما لفظها وابتعد هكذا...هتف بعصبية : « من أنتِ وما تفعلينه هنا؟!! »

نهضت ببطء ولا زالت تنظر للأسفل ثم أجابت :

_« اعتذر منك...فأنك أتيت فجأة و....»

صاح بحدة وكرر سؤاله مقاطعاً : « من أنتِ أجبي ؟! »

رفعت عينيها إليه وشردت قليلًا بهما ثم قالت بتلعثم :

_«اسمي صابرين.. خادمة...عملت منذ الأمس...اظن أنك لربما تكن أبن السيدة "حكمت" أليس كذلك ؟ »

تعجب فارس من وضعها للأسئلة بدلًا منه ،وتعجب أكثر من عملها هنا وهو يعلم أن والدته لا تحبذ عمل الفتيات المراهقات بالمنزل...ويبدو أنها لا تتعدى سنوات المراهقة بجديلتها المستندة على أحد كتفيها وخصلات شعرها

المنثورة بفوضى على جبينها وتغطي أحداهما عينيها...

****

الفصل الثالث

كانت "صابرين" تلاحظ أنه يتحدث دون النظر إليها...يشعل هذا التحدي بداخلها ، والافتتان به أكثر...طريقته تدل أنه رجل لا ينجذب بسهولة لامرأة..وإن أنجذب سيظل ثابتًا رغم ذلك....

آلت ذلك ربما لحبه لتلك المدعوة بـ"مريمة" الذي تحدث معها منذ قليل ويمدح عينيها....ترى من تكن تلك "المريمة" وما بها يجذبه لهذا الحد !؟

أجابها على سؤالها سريعًا : « نعم »

ثم استدار ليخرج من المكان...دون حتى أن يرمقها بهدوء أو عصبية...كأنها لا تزن بفكره وبنظره شيء!! سيصيبها بالجنون إذا استمر

هكذا !!

اوقفته بصوت قوي...خرج من بين شفتيها بلهفة كي لا يبتعد...فإذا ارتضت أسلوبه الفاتر معها فإنها نبذت الابتعاد...يقل ما يقول ولكن الأهم أن يبقى بالقرب....وقلبها في طريقه للوله بهذا الفارس....قالت: « انتظر....»

وقف "فارس" ولم يستدير ولكنه تعجب من هذه الفتاة التي بحديثها شيء غريب يدعو للشك....قالت "صابرين" بتلعثم :

_ « هل أعد لك بعض الأطعمة السريعة أو ربما قهوة ؟»

أجاب مختصراً دون التفات : « لا »

خرج من المكان وارتقى درجات السلم بخطوات

واسعة حتى مضى في طريقه إلى غرفته...راقبته "صابرين" بعدما اسرعت عدة خطوات لمدخل المطبخ كي يتثنى لها أن تراه اكثر بلهفة غامضة...ابتسمت وهي تستند برأسها على الحائط بقلب يبدو أنه عشق من أول نظرة..

بينما" فارس" في طريقه بالممر حتى غرفته نظر جانبًا باتجاه السلم فلاحظ نظرتها الشاردة من الأعلى...ابتعدت عينيه عنها للأمام في حيرة من أمره....ما بها هذه الفتاة تتفحصه هكذا! لابد أن يتحدث مع والدته غدًا بشأنها....شعور غامض بالخطر يلتف حوله..

دلف لغرفته سريعًا ومضى للحمام ليتوضأ ويُقيم ليله مع ترتيل آيات الذكر الحكيم مثل ما يفعل كل يوم....

****

اغلقت "صابرين" باب غرفتها وهي تبتسم ونظرتها تبدو تائهة بعالم آخر...

ثمة لذة بعذاب الحب تكن أعذب من راحة الوحدة...كانت تُبعد صوت بداخلها يصرخ بغضب "ما تفعلينه خطأ فادح يا فتاة"

أصوات كثيرة ومتضاربة بداخلها...ولكن يبدو أن الشيطان سيطر وزين المعاصي بعينيها....وأن الخطوة الاولى بالمعصية يتبعها فواحش الذنب....

كانت تظن أن الرجال تميل عند الجمال ولم تصدق أن هناك استثناء بكل قاعدة...

اضجعت على فراشها ونظرتها لا زالت شاردة...الشيء الوحيد الذي عكر صفوها لهذه

الليلة تلك الـ "المريمة" التي اعلنت الحرب عليها....حرب أنثى مع انثى...

تاهت بأحلام أتى بها مبتسماً محباً وعاشقاً وجريئـًا....وتابع شيطانها تزيين الذنب بداخلها بشتى الطرق...

****

بُهر الليل وانتصف حتى وصفت أحلامها تأجج الاوهام...ليأتي الفجر وساعاته الآمنة على قلوب المؤمنين...

انهى "فارس" صلاة الفجر وسنته بخشوع...وكذلك فعلت " مريمة" بمنزلها....

رفعت يديها بعد الصلاة تدعو في رجاء....

أما قلوب الغافلين كانت في غفلةً عن السكينة والطمأنينة...بدعوات وقت السحر تصعد لربها راضية مستجابة بمشيئته....

فكانت تلك الغافلة تتململ في فراشها برفقة وساوس الشيطانين بأحلامها وتمديد طريق الظلام بداخلها...ودائمًا ما يشغل الشيطان سوى العبد المؤمن الطائع لربه والساجد بين يديه.....يسلط عليه اتباعه...ويسلط عليه شهواته..

ولكن من أعرض عن ذكر الله فإن له معيشةٍ ضنكا....

أتت ساعات السحر ومرت بسلام على القلوب المطمئنة حتى طل الصباح....

بتمام الساعة التاسعة صباحاً.....

جلس "فارس" بتلك الزاوية الصباحية على مقعد مقابل لمقعد والدته...وبعد إلقاء تحية الصباح أتت "صابرين" وهي تضع كوب من الحليب الدافئ أمامه قد طلبت منها "نعمة" تدفئته للمرة الثانية...

نظر "فارس" في ساعة معصمه ولم يبالي بـ "صابرين" التي قصدت وضع الكوب ببطء وتختلس النظرات الجانبية المبتسمة إليه في خفاء.....

قال "فارس" ببهجة ملأت ملامحه :

_ « مريمة ستأتي بعد قليل...أخبرتني بذلك منذ دقائق باتصال هاتفي...»

صرّت "صابرين" على أسنانها بغيظ وعين يُرى

فيها الكره بوضوح....لتبتسم السيدة "حكمت"
وقالت بمحبة لولدها :
_ « رائع...اشتقت إليها منذ آخر لقاء...واعتقد
أنت أيضاً رغم أنك تراها أكثر مني...»
رمقته امه بابتسامة خبيثة فبادل ابتسامتها
بإشراق وهز رأسه موافقاً واتسمت ابتسامته
ببعض الحياء ...لم تستطع "صابرين" الوقوف
أكثر من ذلك ولشد ما كرهت السيدة "حكمت"
بهذه اللحظة...اسرعت ذاهبة بعصبية لم تستطع
اخفائها فتاهت ابتسامة فارس وتساءل :
_ « أمي...أنتِ لا تفضلين عمل الفتيات
الصغيرات بالمنزل...لماذا إذن.....»
قاطعته أمه بلطف وأجابت :
_ « كنت اعلم أنك ستتعجب وتريد الاستفسار

عن ذلك....نعم أنا لا أحب عمل الصغيرات بالمنزل وذلك لأنهن غالبًا ما يسعين إليك لذلك قررت هذا منذ خمس سنوات...ولكن تلك الفتاة اشفقت عليها لأن ليس لديها أهل ولا مسكن تحتمي به من خطر البقاء بالشوارع...وهي طالبة بالجامعة أيضاً...رق قلبي إليها ولم استطع رفض رجائها بالعمل...»

وعلى الرغم من اقتناعه لحديث والدته ولكن لا زال ذلك الشعور بشيء غامض بالطريق يتسلل إليه...

أضافت "حكمت" وهي تضع كوبها الفارغ تقريبًا من العصير الطازج :

_« أبيك وخالك "والد مريمة" سيأتون من السفر قبل الزفاف بثلاث أيام...كثر العمل لديهم

هذه الفترة فلا تضيق بالأمر فكل شيء قد نظمته من فترة كبيرة....»

كاد "فارس" أن يُجيب حتى دلفت "مريمة" التي كانت تأخذ بيديها زوجة أبيها " عائشة" رحبت بها "حكمت" بحرارة ثم تصافح الجميع لتقل حكمت لعائشة :

_« نتركهم يتحدثون يا عائشة قليلًا....لا تعترضي فهي زوجته الآن بعد عقد القران....»

ابتسمت "عائشة" ابتسامة عادية ومجاملة وأجابت :

_ « لا بالطبع...لا أخاف عليها من "فارس" مطلقاً....»

أخذتها حكمت التي بالكاد تحركت قليلًا من مقعدها حتى اسندتها "عائشة" وابتعدوا.....

نظر فارس بنظرة مشتاقة لحبيبة عمره وأبنة خاله أيضاً....شعرت به "مريمة" فابتسمت في حبور وهي تنظر أمامها في ثبات وعينيه على بُعد مسافة قصيرة من مد بصرها....تلعثمت قائلة بتوتر :

_« هل بقلبك عتاب لي ؟ كنت اعاتبك للتأخير ليلًا، لم... »

اجلسها فارس برقة على المقعد التي كانت تجلس عليه والدته وقال بنبرة حنونة:

« وكيف للحبيب أن يرى عتاب حبيبه تمرد ؟! وهل الاغصان تعاتب الطير إذا تغرد ؟ سيكن عتابي أن وقف طيري عن الحديث....أنا أراكِ غصن الزيتون عند خوفي وتيهي..»

قالت "مريمة" وهي تفرك يديها ببعضهما في

ارتباك وتساءلت :« ومما تخاف ؟! »

أجابها بعد تنهيد : « لا أعلم تحديدًا...خوف البشر الطبيعي ربما..»

شردت "مريمة" ولاحظ "فارس" ذلك من ثبوت إطراف أهدابها للحظات وبطء...تساءل :

_« تمرتي..ما بكِ ؟ »

حاولت "مريمة" الابتسامة ولكن أضاءت عينيها بدمعة لم تعلن سقوطها....قالت بشيء من المرارة ظهر بصوتها :

_« كنت اتحدث مع زوجة أبي وابنتها....تحدثت بمرح حتى لاحظت سخريتهم....لا اعتبرها سخرية ولكن ما يؤلمني أنهم قصدوا اهانتي....»

ضيق "فارس" عينيه وقال بضيق : « وبماذا سخروا ؟! »

ابتلعت "مريمة" غصة تكورت بحلقها وقالت بألم :

_« يا سمراء....لأنك تناديني بـ "تمرتي" وبعض الكلمات الجارحة.. »

تنهد "فارس" مرة أخرى وربت على يديها بحنان وقال بمحبة :

_ « وهل هذه سخرية بالنسبة لهم !! هل تعلمي يا تمرتي كيف تكن ابتسامتك مع ضياء عينيك البندقية ؟ ناديتك بـ "تمرتي" لأنك الطيب بظمأ صوم قلبي....صام قلبي عن الإناث سواكِ....فأرتوي عندما أراكِ.. »

رفعت انامِلها المرتجفة قليلًا ومسحت عينيها ثم

ابتسمت قائلة وعينيها تلتمع بدموع بدأت الرحيل :

_« قالوا عنك أن عينيك مثل حبات الزيتون الأسود ، وابتسامتك ترافقها غمازة تظهر رغماً عن لحيتك السوداء...وتبدو وكأنك أمير بأبهى طلته...ولكني لا أعرف ما هو شكل حبات الزيتون ولا استطع تخيل كيف تبدو غمازة خديك...كل ما أعرفه هو اللون الأسود....لأن هذا ما أراه فقط بعالمي المُظلم...»

ابتلعت ريقها بمرارة واتضح بنظرتها المتألمة....مرت عينيه على ملامحها الحزينة بحنان وقال بهمس :

« كم مرة أخبرتني أني عينيكِ ؟ وأيضاً تعرفين ما خلف أحاديث زوجة أبيك وأبنتها...الله يرزقهم

الهداية..»

أضاف بابتسامة :« هل ترتدي هذا الفستان الأسود لأنك تعرفين أنني أحب هذا اللون أم مصادفة ؟ »

طافت حمرة على خديها وقالت بارتباك : « أنت تعرف... »

اتسعت ابتسامته لعودت الابتسامة لمحياها وقال :« من الماكر فينا إذن ؟»

ضحكت ضحكة خفيفة ووضعت يدها على فمها كالأطفال...

شاهدت "صابرين" ذلك المشهد الرومانسي في دهشة واستخفاف...اتلك هي مريمة !!! لقد ظنتها تجسيد للجمال أو ربما اقل بقليل ولكن أن

تكن تلك الفتاة البسيطة جدًا والسمراء فهذا يدعو للسخرية حقاً....

فهمت الآن بعض الكلمات بمكالمته ليلة أمس...إذن مريمة كفيفة !!

نظرت "صابرين" لمريمة في ثقة وزهو وابتسامة متحدية فهمست قائلة :

_« الرجل سيظل رجل يا مريمة....لا تحلمي كثيراً بالأخلاص...هناك فتاة ركض خلفها الكثير من الرجال بتمني نظرة منها....ولكن نظرتي على فارسك...فارسك الساحر...هل قلتِ أنه يحب الأسود ؟ رائع... »

****

بهذا اليوم...رحب الطقس البارد بساعات الشفق قبل مدخل الليل...وأن يكن بالليل ظلمة...فإن هناك ظلمة أشد بالقلوب الجائرة التي تنهب غير نسائمها....

وقفت *صابرين" أمام المرآة بغرفتها تتفحص ذلك الرداء الأسود التي حفظت غيره بحقيبتها وهي آتية لهنا للعمل...طافت نظرتها على جسدها بإعجاب وزهو...كان الرداء يشبه في انحنائه وتقسيماته لأن تبدو كعروس البحر....ورغم ذلك كان بسيط ولا يوجد به أي بهرجة....مناسب لارتدائه..

عقصت شعرها المائل للحمرة بذيل فرس مع بعض الخصلات المتمردة ثم ذهبت للمطبخ....

وجدت سيدة عجوز تُعد مشروب دافئ فاقتربت

"صابرين" بمكر وتساءلت : « لمن هذا ؟ »

أجابت المرأة العجوز وقالت :

« لـ أستاذ "فارس" يا صابرين...ستأتي نعمة وترسله إليه قبل أن يبرد...»

لم تنتبه السيدة الطيبة لمكر "صابرين" ولم تلتفت كثيراً لما ترتديه فقالت "صابرين" في خبث :

« لا تقلقي....سأرسله أنا سريعاً وأعود إليكِ لبعض الثرثرة...»

سعلت السيدة بإرهاق صافح تجاعيد وجهها الشاحب وجلست...تركت "صابرين" تأخذ المشروب وتذهب...ما يُهمها أنها انتهت منه كي لا تواجه عتابًا من السيدة "حكمت"

****

مرت *صابرين" بالممر العلوي المؤدي لغرفة "فارس" التي كانت تضم مكتبه أيضاً...نظرت لمرآة بيضاوية الشكل مثبته على الحائط بالممر وتزينها بعض الزهور على حوافها...لاحظت اشتعال وجهها بحمرة شديدة رافقت مرطب شفاه وضعته للتو خلسة...

فحصت مظهرها سريعاً برضا ثم مضت بطريقها إليه...حمدت انشغال تلك السيدة البغيضة التي تُعد عليها الأنفاس منذ الأمس المسماة بـ "نعمة" وإلا لما كانت تستطيع ربح تلك الفرصة...

وقفت "صابرين" أمام باب غرفته وبيدها

المشروب تلتقط أنفاسها قليلًا قبل أن تراه...نقرت على الباب بخفة ويبدو أنه لم ينتبه...كررت ذلك حتى انتبهت لصوته القوي يسمح بالدخول....

ابتسمت وهي تملأ رئتيها بنفسٍ عميق ثم فتحت الباب ببطء لتجد "فارس" جالس على مكتبه بجانب نافذة الغرفة بالجهة المقابلة لها تمامًا...لأول مرة ترى غرفته...بها لمحة منه أو ربما شعرت بذلك لأنها تخصه...ولكن الغرفة ريحها طيب ، تدعو للراحة منذ أول نظرة...اقبلت عليه وهو مشغول بقراءة أحد الكتب...أشار دون أن ينظر لها وقال :

_ « شكراً يا "أم علي" »

وضعت "صابرين" المشروب الذي تهجر الأبخرة من لُبه وقالت بصوتٍ ناعم :

_« هل تُريد شيئاً آخر ؟ »

توقف "فارس" عن القراءة فجأة وترك ما بيده بشيء من الحدة فلم يكن يظنها هي من أتت...نظر اليها سريعاً بضيق وانتبه دون قصد لما ترتديه والذي ابعد ما يكون عن ملابس فتاة محتشمة ثم نظر للمشروب التي أتت به وأجاب بجفاء :

_ « شكراً.....عودي إلى عملك...»

مرت ابتسامة ماكرة على ثغرها ثم استدارت لتخرج...واكيداً أنها لن تترك الفرصة لتميل بسيرها أمامه حتى تفاجئت وهي تخرج من

الغرفة بوجه "نعمة" التي تنظر لها بعصبية ونظرة متوعدة للعقاب...همست مدبرة المنزل "نعمة" اليها وقالت :

_ « انتظريني بغرفتك ولا أراكِ خارجها حتى أأتي إليكِ..»

لوت "صابرين" شفتيها بسخرية ومرت بالممر مبتسمة بزهو وهي تلهو بخصلات شعرها في دلال....تطلع "فارس" بعتاب بمدبرة المنزل التي كانت بمثابة والدته الثانية وقال :

_« من أرسلها لغرفتي؟!! »

اعتذرت المرأة بأسف وقالت :« لم أكن أنا بالطبع ولكنه خطأ غير مقصود...أفهم غضبك فالفتاة تبدو غير متزنة بعض الشيء والدليل

أنها أتت لهنا دون أخبار أحد ولم تخجل حتى

!!....خطأ لن يتكرر اعتذر...»

قال "فارس" بلطف : « لا تعتذري...المهم أن لا

يتكرر الأمر..»

هزت "نعمة" رأسها واكدت ثم غادرت الغرفة

في هدوء.....

****

*

وقفت صابرين تتأمل مظهرها امام المرآة مرة

ثانية والابتسامة المغرورة على ثغرها...نظرته

وهو يتهرب منها لم تعرف لما اعجبتها !!

فتحت مدبرة المنزل باب الغرفة بطريقة هجومية

ثم اغلقته بغضب....التفتت لها "صابرين"
بنظرة متحدية وقالت :

_« تتصرفين وكأنك مالكة هذا المنزل !!»

أشارت "نعمة" لها بتحذير ونبرة عصبية :

_ « رأيت مثلك الكثير من الفتيات التي أتين لهنا ومن اليوم الأول وهنّ يركضن خلفه...أصبح لدي نظرة مستقبلية للأمر...فارس اعتبره أبني الثاني ولن أسمح لكِ بتصرفاتك الوقحة هذه معه !»

شعرت "صابرين" بغيرة شديدة من هؤلاء الفتيات فقالت مدافعة عن نفسها بتظاهر :

_« ماذا فعلت !! كل هذا لأنني أخذت المشروب اليه ؟! لا تقولي هذا !! »

سخرت "نعمة" وقالت وهي تُلقي نظرة على ما ترتديه صابرين :

« أنتِ تعلمين ما أقصد...واحذرك أن لم تستحي مثل الفتيات المهذبات وتكفي عن ما تسعين اليه فأني سأكون السبب خلف طردك من هنا...ولمعلوماتك..فارس هو من أمر بعدم ذهابك لغرفته بأي مشروب أو اطعمة أو لأي سبب..أنا اتولى مسؤولية ذلك بمفردي...وأن كررتها اعدك لن تبقي ساعة أخرى بالمنزل...»

كان هذا ختام حديث مدبرة المنزل قبل أن تخرج من الغرفة وصفقت الباب بحدة....

التهبت نظرة "صابرين" بشراسة وغضب من هذا التحذير الكريه الذي سيسقط مخططها ويدحضه...

مضت ساعات النهار وهي تطوف بالأرجاء بشرود ولم تره بعد لقائها الصباحي...

يبدو أن كل شيء يقف حائلاً بينها وبينه...وذلك الصوت الضعيف بداخلها وينعتها على ما تفعله كانت تتجنبه بكل قوتها...

رحبت السماء بالغسق وطل الليل بأوله...وفي غرفتها ذرعت المكان ذهابًا وايابًا وتضرب قبضتيها ببعضهما في عصبية...

اغلقت مدبرة المنزل أمامها جميع النوافذ لمتابعة ما أتت إليه...اصبحت مثل الطفل الذي يصرخ أكثر كلما ابتعدت دميته !

اطبق الضيق على صدرها حد الاختناق فقررت الخروج للحديقة علها تستطع ايجاد حلول لآخر المستجدات...

حتى أنها لا زالت ترتدي ذلك الرداء الأسود ولم تبدله...فجأة وكأن جميع الالوان اصبحت بلا قيمة ولا بهجة سوى الأسود !

كأن من نحبهم هم الذي يعطون قيمة للأشياء بأعيننا !

استغلت سكون المنزل من تحركات الخدم وتسللت للحديقة بغرض استنشاق الهواء...لم تأمل أكثر من ذلك بحقيقة الأمر...

مرت بين الزهور التي تشاجر الريح في ضمها...وتحت ظلام الليل وهمسات النسيم تصدر صوتٌ رقيقاً...ما بها تدمع !!

مرت الدموع على وجنتيها رغماً...هي ليست كما تفعل !! هناك فتاة بريئة لا زالت

بداخلها....تبك وتضعف ، ولكن هذه اللحظات البسيطة من الندم لم تستطع أن تُقيم ميلها للخطأ...لأن الإرادة لم تستطع دعمها لتثور...

كانت قريبة من المسبح حتى توقفت فجأة بصوت صادر من خلفها يُهاتفها "صابرين" ....كان في هتافه تعجب !!

استدارت صابرين سريعاً لتجده ذلك الشاب التافه الذي ضايقها عدة مرات بالجامعة منذ ما يقرب من شهر...زميل دراسة بصفها الأول بكلية "الأداب"

أقترب "علي" لها بنظرة مدققة بتفاصيل جسدها وابتسامة صفراء وقال ببطء :

_ « مرحبًا أيتها الجميلة....اظن أننا التقينا من قبل ؟! »

اتسعت عين "صابرين" بذهول...ما أتى بهذا التافه إلى هنا ؟ وكيف دخل للمنزل بوجود الحارس ؟ قالت بعصبية :

_« كيف أتيت إلى هنا ؟ أتيت لتضايقني هنا أيضاً !! تُراقبني! »

اتسعت ابتسامة "علي" باستهزاء وأجاب وهو يقترب أكثر :

_« لا تعطي نفسك قيمة لهذا الحد ، من المفترض هذا السؤال لي....ماذا تفعلين هنا ؟ »

زمت "صابرين" شفتيها بغضب وتحركت اتجاه البوابة الكبيرة لتأتي بالحارس ويطرد هذا الأحمق من هنا فقالت بعصبية :

_« ستعرف من أنا...سأدع الحارس يُلقيك خارجاً كالقمامة...»

قبض "علي" على معصمها بقوة وقال بتحذير :

_ « أنا هنا لأن أمي تعمل هنا مدبرة منزل..

لست بسارق ! ولكن السؤال لك أنتِ....ما الذي

يأتي بفتاة مثلك لهذا المنزل الذي لا يوجد أحد به

يترك فرضاً واحداً من الصلاة...لا تقولي أنهم

أقربائك ! »

جمعت "صابرين" الخيوط ببعضها وتذكرت تلك

الكريهة مدبرة المنزل...هذا يليق بالفعل أن

يكون هذا من أنجبته...نسخة أخرى من سخافتها

ولكنه شاب...دار هذا بفكر صابرين حتى

انتزعت يدها من قبضته وأشارت له بتحذير :

_« أنا أعمل هنا...مثل والدتك أن كنت ستتعجب

من الأجابة...»

جذبها اليه بنظرة نارية واحاط خصرها براحة

يديه بقوة وقال هامسا :

_« والدتي أشرف منك لا تتحدثي عنها...»

تحولت نظرته الى شهوة ريثما وهي تحاول دفعه بكل قوتها ولكنها لم تستطع صد قوة ذراعيه عنها...تابع بابتسامة ماكرة :

_« أن صرختِ سأخبر الجميع عن حقيقتك...اكيد أنك لم تخبريهم وإلا ما كنتِ هنا الآن....هل تعلمي أنك قاتلة الفتنة والجمال ؟ »

قالها وهو يقترب لوجهها بقوة حتى لكمته على ساقيه فتأوه متألمًا وهو يتمتم بالشتائم ولكنه لم يتركها تبتعد كثيراً...همّ بالإسراع خلفها قبل أن تبتعد...

ركضت "صابرين" باتجاه مدخل المنزل المطل على المسبح حتى وجدت "فارس" يقف أمامها

فجأة....

ذعرت للحظة حتى تجمعت ملامحه تحت ضوء القمر أمام عينيها فابتسمت بعد نوبة هائلة من الخوف التي واجهته وركضت اليه....تخفت خلف ظهره للاحتماء وتمسكت بذراعه بقوة...كانت ترتجف كالهرة الخائفة ودفنت رأسها بظهره وقالت برجاء :

_« كنت خائفة قبل مجيئك "فارس" »

نطقت اسمه برجفة فأطرفت عينيه ببعض الضيق حتى نظر لعلي بنظرة شرسة وكاد أن ينقض عليه فوقف علي وهو يجر قدمه التي اصبحت ثقيلة بعد ضربتها وأشار لـ "صابرين" وقال :

_« كانت تظنني سارق ، ضقت من اخبارها أن أمي تعمل هنا ولكنها صرخت... اسألها »

نظرت "صابرين" لـ "علي" بدهشة حتى تطلع بها بنظرة ذات معنى....ابتلعت ريقها وتذكرت تحذيره من اخبارهم حقيقتها...فأن علم "فارس" ما تفعله وأمر الفيديوهات المسجلة على الأنترنت لن يُبقيها بمنزله يوماً آخر....

ابتعد "فارس" خطوة واحدة ووقف أمامها متسائلًا :

_« هل ما يقوله صحيح ؟ »

شعرت بلفحة من البرد بابتعاده فقالت وهي تهرب من نظرة "علي" الشامتة واجابت كاذبة :

« نعم »

صمت "فارس" للحظة وكأنه شك بالأمر فقال بأمر موجهاً الحديث لها :

_« عودي لغرفتك...ولا تخرجي بهذا الوقت

المتأخر من الليل مرةً أخرى..»

هزت رأسها بموافقة ثم دلفت للداخل بخطوات سريعة...

التفت "فارس" لعلي بنظرة حادة وقال :

_« إذا أردت المجيء يا "علي" فالأفضل أن تُخبر والدتك أولًا لتكن باستقبالك ولا تأت بهذا الوقت المتأخر دون علم أحد مرةً أخرى...»

نظر "علي" له بنظرة حاقدة ولكنه أجاب بصوت خفيض : « سأرحل..»

توجه مغادراً المنزل وهو يتمتم الشتائم في سره لكلاهما....أما هي فسيعود إليها فقد أتت له على طبق من ذهب تلك المغرورة التي لم يكُف فتيان الجامعة بالركض خلفها وهي تلفظهم كلفظ النواة دون اهتمام..

*****

***

ارتقى "فارس" عدة درجات باتجاه غرفته بالطابق الثاني حتى اوقفه صوتها....قالت صابرين بلهفة : « انتظر فارس...اقصد سيدي »

تعمدت نُطق اسمه ثم صححت الخطأ المقصود...وقف فارس ثابتًا للحظات حتى استدار ببطء....أجاب : « نعم »

ابتسمت تدريجيًا وقالت بتلعثم : « كنت أريد أن أشكرك...أنك...»

قاطعها بثبات ليُنهي هذا الحديث :

_« لا داعي للشكر...ولا داعي للخروج ليلًا مرةً أخرى حتى وأن كان بحديقة المنزل...سلامتك مهمة..»

شعت عينيها بابتسامة وهي تطلع به...ما به قلبها يقفز فرحاً ! نبرته حملت بعض العتاب وأن كان يصنف فأن العتاب لا يخص سوى الأحباب...تابع صعوده وتدرجت ابتسامتها لتصبح ابتسامة واسعة لتقفز فرحاً بالفعل وركضت إلى غرفتها...

دلف "فارس" لغرفته ومرت ابتسامة على شفتيه لرؤيتها تقفز كالطفلة ! اختفت ابتسامته ولم يروقه منحنى افكاره....أخذ المنشفة وتوجه لحمام الغرفة ليأخذ دشا سريع قبل صلاة القيام....

الفصل الرابع

لم تغفو "صابرين" من ليلتها إلا لماما...طال المقام بها لأن تظل ساهدة الليل وتضم وسادتها بوله عصف بقلبها....لم تظن للحظة أن الحب ينال منها هذا المنال والجنون ريثما بهذه السرعة !

نهضت مبكراً من فراشها واستعدت للعمل بـ طاقة عالية...كانت تطوف كالفراشة..خفيفة الروح عند السعادة وما أثقلها عند الألم...

وضعت المشروب الصباحي للسيدة "حكمت" بطاولة صغيرة ملاصقة لفراش السيدة نظراً لسوء حالتها الصحية لهذا اليوم فلم تستطع

التحرك من الفراش....ابتسمت لها صابرين وقالت بصدق :

_« سأظل بجانبك إلى أن تستطيعي النهوض سيدتي...»

اعتدلت السيدة "حكمت" بصعوبة وبمساعدة صابرين بفراشها وقالت بحنان : « سأكون بخير لا تقلقي صغيرتي...»

تطلعت بها "صابرين" بطيف محبة نال من قلبها لهذا المرأة...ليست لأنها والدته وأخذ من ملامحها الكثير...بل لأنها سيدة قريبة إلى القلب...أجابت صابرين وقد أحبت كلمتها الأخيرة وردتها :

« صغيرتي....أحببت هذه الكلمة...»

اخذت السيدة "حكمت" كوب المشروب وارتشفت منه القليل ثم قالت مستفسرة :

« أحببتها...اذن سأقولها دائمًا ولكن أخبريني عن عائلك...أين هم ؟ أخبرتني أن ليس لكِ عائلة ولكن لا أعرف عنك الكثير...»

وقفت غصة مريرة بحلق "صابرين" وقالت بألم صادق :

_« لا تتعجبي أن أخبرتك أن والداي على قيد الحياة...ولكن أبي انفصل عن أمي...وكلاهما تزوج بأشخاص آخرون بعد الطلاق..كنت بينهما كالشيء الغير مرغوب فيه...واصبح لدي زوج أم يكرهني دون سبب واقسم أن لا ادخل منزله...وزوجة أب تختلق المشاجرات حتى

طردني أبي مراراً وكنت أعود اليه مرغمة...صدقا لو قلت أنني لم اختبر الحنان مطلقاً ولا أعرف ما هو...فتركتهما جميعاً وأتيت لهنا...»

كان حديثها صادق إلا قليلًا...وكانت دموعها أيضاً صادقة ، تطلعت بها السيدة "حكمت" بألم وشفقة فقالت بدعم :

_« الا تريدين أن اكون والدتك ؟ »

مسحت "صابرين" دموعها وتحكمت بأعصابها بعض الشيء وقالت مؤكدة بصدق :

« أريد !! أنا اتمنى ذلك...»

تابعت السيدة "حكمت" بابتسامة حنونة:

_« إذن أنا والدتك منذ اليوم...وبناءً على ذلك

اريد عتابك على شيء..»

قالت "صابرين" بقلق : « ما هو ؟ »

راف حديث السيدة "حكمت" ابتسامة لطيفة وقالت :

_« لا أراكِ تؤدي فروض الصلاة...وأيضاً أين حجابك ؟! أنت فتاة رائعة الجمال وأيضا طالبة جامعية وأمامك مستقبل مشرق....لا ارغمك على شيء ولكن بما أني اعتبرك الآن أبنتي فوجب علي النصيحة...»

اسدلت "صابرين" عينيها بحرج...لم تعتاد أن يحسها أحدا على التقرب إلى الله بل كل ما كان حولها هو السبب الرئيسي في دفعها لأن تكن متحررة بشكل فج وتفعل ما تفعل دون مراجعة أو حساب....

قالت "صابرين" بأسف : « لم ينصحني أبي بالصلاة...ولا حتى أمي...كلاهما تاركين الصلاة من الأساس...لا أريد التحدث عنهما أكثر من ذلك...وأن شاء الله سأصلي كما تشائين...»

هزت السيدة "حكمت" رأسها في نفي وقالت :

_« ليس كما أشاء أنا..أرادتك أنتِ بالقرب إلى الله هي الأهم...النصيحة واجبة وليس الأجبار فيها...ولكني حقاً أحب رؤيتك بالحجاب ستكونين رائعة...حفظك الله يا صغيرتي...»

شردت "صابرين" قليلًا في سكون...ثم قالت بنبرة تظهر حزنها الدفين :

_« دائمًا كنت اتسأل لماذا البعض ينجبون أطفال طالما يتركونهم بعد ذلك !! من المؤسف أن يوجد طفل والديه على قيد الحياة ولكنهما في

طريقين بعيدان عنه...كلًا لوجهته التي رسمها لنفسه...لوحة لا يوجد فيها ذلك الطفل التعيس.. لا ذراعي أم تحتضن ، ولا دعوة طيبة تطمئن القلب ، ولا مساحة من الأمان بوجود الأب...هذا الطفل التعيس للأسف سيظل طفل تعيس بداخله مهما مرت السنوات عليه... اتعلمين...لأول مرة اسمع أحد يدعوا لي ! »

أشارت السيدة "حكمت" إليها لتقترب....اقتربت "صابرين وجلست بجانبها على الفراش..مررت السيدة " حكمت" يدها على رأس الفتاة بحنان وظلت ترتل آيات الذكر الحكيم لبضع دقائق...ارتجف جسد "صابرين" وادمعت عينيها بصدق....كأن الطفل التعيس بداخلها يرفع ذراعيه لتتلقفه هذه الأيدي الحنونة وتربت عليه

بحنانها...

دق الباب جعل "صابرين" تمسح عينيها الدامعتين سريعاً حتى دلف "فارس" لغرفة أمه بنظرات ظهر بها شيء من اللين...كأنه استمع لكلماتها !! نهضت "صابرين" من جانب السيدة حكمت فقال فارس سريعاً :

_« لا...أبقي بجانب أمي...»

ابتسمت له أمه بحنان وقالت :

« لم يتثنى لي الحركة اليوم...ولكن انتظرتك حتى نفطر سوياً....فقط احتسيت مشروب الصباح...»

تطلعت به "صابرين" بعشق ومحبة...كانت ابتسامته لأمهِ وكأنه يبتسم لها هي...شعرت بذلك...نهضت قائلة :

_« سأذهب سريعاً وأعد طعام الفطار...»

تحركت من أمامه بنظرة مبتسمة تُحلق بسماء العشق كالفراشة...جلس "فارس" الذي تجنب النظر لـ "صابرين" رغم جملته التي وضعت آمال بقلبها....قال معتذراً :

_« أسف أمي...انتبهت لحديثكم بالصدفة...كنت بطريقي لهنا بعدما علمت من "أم علي" أنك مريضة اليوم وتوقفت عند حديثكما ولم اشأ المقاطعة...لا أقصد شيء...»

قالت السيدة "حكمت" بحنان :

« أفهمك وأعرفك...أنت قلبي وروحي يا فارس...»

اشارت له بابتسامة ليجلس مثلما كانت تجلس "صابرين" منذ قليل فنهض سريعاً بابتسامة

واسعة وبدأت ترقيه بآيات القرآن الكريم حتى انتهت وتنهد فارس براحة تامة وقبّل يديها بابتسامة محبة وقال :

_« بارك لي في عمرك يا أمي ورزقك الصحة والعافية..»

ربتت على رأسه بحنان ومحبة حتى استطرد قائلًا بضيق :

_« وضع هذه الفتاة مؤسف كثيراً ، للحظة تخيلت أني مثلها فأنقبض قلبي...كيف تكن أمي حية ترزق ولن استطع حتى البوح لها بما يضايقني ؟! ما من انسان بالوجود لا يحتاج لأمه مهما كان قوياً راشداً...كيف لطفل يتلقى من والديه القسوة بدلًا من الحنان والرعاية فقط ؟!

»

وافقته والدته بألم :

_« كان قراري صائبًا بعملها هنا...هذه الفتاة تائهة ، تحتاج أن نشعرها بالآمان حتى لا تعود لتيهتها وتشق طريقها باستقامة....»

دلفت "صابرين" وبين يديها صينية كبيرة رتبت عليها بعض الأطباق الشهية من المأكولات...توقفت قليلًا عندما وجدت "فارس" جالساً بالمكان التي جلست به...ابتسمت بسعادة سراً حتى وضعت الطعام أمامهما...

دلفت "نعمة" ومعها المشروب الدافئ الخاص بـ "فارس" ووضعته على الطاولة ثم نظرت لـ "صابرين" بحدة وقالت بأمر :

_« عودي للمطبخ يا صابرين...»

رمقتها صابرين بكره ثم تحركت للخارج حتى

قال "فارس" وهو لا زال ينظر لأمه :

_« عودي بعد قليل...ستظلين بجانب أمي...ولا ضير أن اتيتِ بكتبك الدراسية للمراجعة...وأن احتجتِ شيء أخبريني...»

نظرت مدبرة المنزل لـ "فارس" بصدمة بينما ظهرت ابتسامة "صابرين" راضية سعيدة وبعض الانتصار لصدمة مدبرة المنزل...

انتفض قلبها عندما وجدته يبتسم لجهة والدته وبدأ يطعمها...ابتسامته سلبت قلبها مثل حديثه...احتاجت أن تركض اليه أو أن تركض منه لتلتقط أنفاسها اللاهثة....ففعلت الأمر الآخر وخرجت من الغرفة وكأنها تقفز فرحاً...

قالت مدبرة المنزل بعتاب : « لماذا ؟! »

توجه فارس بابتسامته المشرقة قائلًا : « فتاة

صغيرة تحتاج العون منا...لربما ساقها القدر لهنا حتى تجد يد تنتشلها مما كادت بالسقوط فيه...»

هزت مدبرة المنزل رأسها بيأس من المناقشة...فهذه العائلة كريمة لحد كبير ولا يعلمون بمكر هذه الفتاة...

****

****

مرت عدة أيام وكان من المفترض أن تذهب "صابرين" للجامعة اقلًا أمام السيدة "حكمت" ولكنها في الحقيقة لم تكن تذهب الا نادراً

بسنواتها الأولى في الجامعة...دلفت إليها صباحاً

بغرفتها واستأذنتها بالمغادرة لمدة ساعتين فقط...وافقت السيدة بلطف حتى تفاجئت "صابرين" بباب الغرفة يفتح على مصراعيه وتدخل منه تلك المدعوة "مريمة" التي تستند بذراعي "فارس" بابتسامتها الرقيقة....

كان ينظر لها بحنان وهو يوجهها لوالدته...احتقنت عين صابرين بالغضب ولكنها بقيت صامته...ما من شيء يبعثر آمالها هباء إلا تلك المريمة...

صافحت "مريمة" بصوتها الحنون السيدة حكمت وعلى غير المعتاد من فارس بدا مرحاً في حديثه بهذا الصباح ولم يوجه لها حتى نظرة

واحدة...انسحبت من الغرفة والدموع تملأ عينيها حتى أوقفتها السيدة "حكمت " وقالت :

_« انتظري قليلًا يا "صابرين" فربما يأخذك فارس ومريمة بطريقهما...سيبحثون اليوم عن فستان زفاف مناسب لمريمة....»

وقفت "صابرين" موالية لهم ظهرها...اغمضت عينيها بألم حاد واخفت الدموع فيهما حتى استدارت...جاهدت كي لا تظهر حزنها فقالت :

_« الف مبروك...لا داعي لأن اضايقهم واكن عزول »

قالت مريمة بابتسامة والتفت لمصدر الصوت :

_« لا تقلقي صابرين ، في الحقيقة سأحب أيضاً أن تأتي معي وتشاركيني الاختيار..ما رأيك ؟ ماما "حكمت" حدثتني عنك بالهاتف

بالأمس...أحببتك من حديثها...»

قال "فارس" وهو يضع كوب العصير بيد مريمة :

_« هي ذاهبة للجامعة يا مريمة...لا نتسبب لها بالتأخير عن الدراسة..»

اطرفت "مريمة" بحرج ظهر على ملامحها بينما نضب الريق بحلق"صابرين" وتجمعت عبراتها بموؤق عينيها...الهذا الحد يتبدل كلياً بوجود تلك المريمة ؟!

ولما تُسميه هكذا ؟! ماذا تعني له في الاساس؟!

وبماذا اعطاها الأمل سوى بكرم المعاملة التي يعطيها للجميع !!

قالت "صابرين" واعتبرت أنها ترد له الصاع :

_« أنت محق...استأذنكم الذهاب بمفردي فالجامعة قريبة إلى هنا وأحب المشي صباحاً...»

مريمة بقلق : « ولكن الطقس بارداً بالخارج يا صابرين ويبدو أنها ستمطر ! »

ابتلعت "صابرين" ريقها بمرارة وأجابت :

_« اعتدت على دموع المطر...اعتدت أن يسقط على رأسي دفعة واحدة....المطر يخفي أشياءً كثيرة بالأعين اخفيناها كثيرا حد المشقة من تحملها...»

خرجت من الغرفة سريعاً ولم تفهم "مريمة" حديثها كثيراً ولكن "فارس" ضيق عينيه ببعض الشرود....ويبدو أنه يفكر بحديثها..

****

وكما تحدثت...نزفت السماء المطر بهذا

الصباح...كانت خصلاتها المائلة للحمرة تلتصق بجانبي وجهها وبشرتها البرونزية الصافية...بكت كثيراً في طريقها حتى وقفت أمام

مدخل الجامعة عندما وجدت ذلك الكريه مجددًا ....أقترب "علي" منها حتى وقف أمامها بنظرة قوية وقال :

_« لم افصح عن حقيقتك بالأمس ولكن أنتِ بالتأكيد تعرفين المقابل لصمتي...»

نظرت "صابرين" له بغضب وكأنها وجدت شيء تسكب به غضبها فصفعته بحدة على وجهه وقالت :

_« أي مقابل تريده يا حقير !! أن تحدثت معي بهذه الطريقة مجددًا سأفضحك بين طلاب

الجامعة ولا تنسى أنها لم تكن المرة الأولى في مضايقتي ! »

مرر "علي" يده وتحسس موضع الصفعة بنظرة نارية وقال بتوعد :

_« اذن انتظري مني الانتقام....لم تمر هذه الصفعة عليكِ بسلام..»

رمته بنظرة محتقرة من شأنه وذهبت مبتعدة حتى عن الجامعة....سارت بالطرقات وهي تذرف الدموع بألم وشعور بالضياع...لمَ كان كل هذا الحب دفعة واحدة ؟!

لما الحياة تعطيها كل شيء دفعة واحدة باستثناء السعادة ؟!

الحرمان ، القسوة ، حتى الحب !! ....والفراق يأتي ملوحاً من بعيد...

لم تشعر وهي تسير تحت المطر كم مر من ساعات...حتى أنها لم تنتبه للطرقات...لتتفاجأ أن الساعة قد دقت الخامسة مساءً !!!

كل هذا الوقت تبكِ ولم تشعر !! والغريب أن دموعها لم تتوقف طيلة هذه الساعات !

تنفست بثقل ضخم من الهموم والحزن على قلبها وعادت للمنزل الكبير.....

قبل أن تصل للمنزل بعدة أمتار كثيرة وجدت سيارة "فارس" تقف بالطريق....كانت ساعات الشفق بدأت وتبسم الغروب....كان الوقت بوجوده انسب لأن يكون لقاء عشاق ولكنه خرج من السيارة عندما رأها...لم تعرف لمَ ركضت

اليه باشتياق حتى وقف بنظرة ضج فيها الغضب ولاحظت ذلك عندما وقفت أمامه....قالت بلهفة :

« اعتذر للتأخير ولكن أنا...»

قاطعها وهو يضع شاشة هاتفه أمام عينيها واحد الفيديوهات التي تتغنى فيها وتتمايل تملأ شاشة

هاتفه....طفرت عينيها دموع غزيرة ونظرت له بتوسل ان يستمع لها....قال بأمر :

_« قبل الشروق غدًا لا أراكِ بالمنزل...»

تذكرت وعد "علي" بالانتقام فتأكدت أنه وراء ذلك...قالت "صابرين" وهي تبكِ بشدة :

« اسمعني ارجوك...»

قاطعها بحدة : « هذه أنتِ...لا اتابع هذه الحماقات لذلك لم اكتشف حقيقتك...وأنتِ أيضا

تلك الفتاة التي رأيتها برداء قصير صباحاً وكانت تغني وتصيح !! لماذا عملتِ إذن بمنزلي كخادمة وأنتِ تربحين من هذا المستنقع أكثر بكثير من بضع جنيهات ؟! »

اعترفت صادقة ودموعها تُغرق وجهها : «

لأجلك أنت...»

ضيق عينيه التي لا تنظر لها ثم رمقها بنظرة سريعة غاضبة واستدار ليدخل سيارته ولكنه قال قبل أن يرحل من أمامها :

_« لن تبقي بالمنزل...سأرسل " أم علي" براتبك الشهري وترحلي...»

قاد سيارته من أمامها سريعاً وهي تطلع به في صدمة...هل سترحل حقاً ؟! كان بتعلقها وشغفها

به مجازفة وتهور واندفاع غير أخلاقي ولكنها مع ذلك أحبته....وأحبت والدته كثيراً ، كانت محقة في ظنها....أخذت الحياة كل شيء دفعة واحدة مجددًا...

المطر الذي يسقط أمامها لا يمثل سوى دموع عينيها المتألمة...ماذا تفعل؟!

****

عادت للمنزل بأعين انتفخت من البكاء وجسدها يظهر عليه الرجفة...انتبهت لعودتها مدبرة المنزل فمضت اليها بعصبية وهتفت :

_« أين كنتِ كل هذا الوقت ؟! »

رفعت "صابرين" عينيها الباكية وقالت بكسرة :

كنت تائهة...أسير ولا أرى شيء حولي...كنت ابكِ ولم أجد من يزيل دموعي كالعادة...كنت

وحدي...وسأظل هكذا دائمـًا...

شعرت "نعمة" ببعض الشفقة بحزن الفتاة فقالت بلطف :

_« تبدي مريضة ! اذهبي لغرفتك يا صابرين وسأعد لكِ حساء دافئ ومضاد للحرارة...يبدو أنكِ أصبتِ بنوبة برد...»

هزت "صابرين" رأسها بيأس واعتراض ثم مضت لغرفتها بخطوات ثقيلة....

دلفت لغرفتها وارتمت على الفراش وتاهت في بكاء هستيري....شعرت أنها ظلمت نفسها أكثر من اللازم حتى تأتي أخطائها ملازمة لها بكل شيء....

أتت مدبرة المنزل الذي وكأنها تبدلت لامرأة أخرى حنونة وقالت :

_« اعدت لكِ بعض اللحم المقدد وشربة دافئة مع مضاد حيوي بعد تناولك الطعام....»

كانت تمددت "صابرين" بالفراش كالجيفة التي تنظر للأعلى في صمت هائل....تابعت مدبرة المنزل حديثها :

_« السيدة "حكمت " كانت قلقة بشأنك حتى تاهت بغفوة بعدما تناولت دوائها المسكن...عندما تستيقظ سأخبرها وأطمئنها عليكِ...هيا انهضي لتتناولي الطعام..»

ظلت "صابرين" على حالة الصمت سوى بعض طرفات العين...قالت "نعمة" في يأس :

« سأذهب لمتابعة الأعمال قبل أن أخلد للنوم...لا تهملي الطعام والدواء...»

ربتت على يديها ثم رحلت....بينما كانت "صابرين" في حالة سكون وقد بدأت وساوس الشيطان تشتد بهذه الحالة من الضعف التي غمرت نفسها بها ولم تلجأ لرب العالمين ليُعينها....ربما لو لجأت ما كانت نهضت الا للصلاة والبكاء بين يدي الله حتى تأتيها السكينة....ولكن نهوضها كان وكأنه نهوض

نفسها الأمارة بالسوء لتوجهها لطريق كان بدايته ذلك الطريق المائل التي سارت به من قبل....

العاهرة لم تُلد عاهرة...بينما تغلب عليها الشيطان بالعصيان حتى اوقعها بمراده لبني آدم...كل ما هو عصيان فهو مراد الشيطان....

ومرت الساعات.....

أتت ساعات الزُولة حتى زلف الليل

بعتمته....وقفت "صابرين" أمام مرآة غرفتها

برداء أسود قصير للغاية...يبدو بقمة إثارته على

جسدها الممشوق ذو الانحناءات

الأنثوية...تزينت بنظرة ثابته كأنها تتبع ما

يرشدها اليه الشيطان دون إرادةٍ منها...

وذلك الصوت بداخلها يصرخ وينتحب لما تدفع

نفسها به....لم تبالي حتى بالطقس البارد ولا

بدرجة حرارة جسدها العالية إثر سيرها تحت

الأمطار لمدة طويلة نهاراً....لم تكن خطتها أن

تنحدر اخلاقيًا لهذه الدرجة المنحطة....كل ما

استطاعت فعله هو محاولة لفت انتباهه بطرق

وأن اعترفت ستعترف انها أيضا طرق خاطئة ولا يرضاها رب العالمين....ولكن ما تقدم عليه الآن لم يكن بفكرها يوماً..

عم السكون المنزل وكانت تعلم أن بهذه الساعة من الليل يكن الجميع في سُباتٍ عميق سوى الذي يقيم ليله متضرعاً بين يدي الله....

أخذت شال حريري حول كتفيها وسارت حافية القدمين بخارج الغرفة...ارتقت الدرجات خطوة بعد الأخرى حتى توقفت وهي تغمض عينيها

بقوة ويبدو أن طيف ندم مر بها....ولكن الشيطان لم يتركها لهذه النفحة بل زين لها الأمر بأنها إذا فعلت ما وسوس لها به لم يستطع فارس سوى أن يصلح خطأه

ويتزوجها.....ولكنها لم تفكر للحظة أن حتى لو حدث هذا فسيحتقرها للباقي من عمره

تابعت "صابرين" الصعود وبدأت دقات قلبها تعلو بشدة...

وقفت أمام باب غرفته تزدرد ريقها بقوة حتى حركت مقبض الباب وفتحته.....مسحت نظرتها الغرفة فلم تجده ولكنها انتبهت لصوت مياه صادر من حمام الغرفة....ادركت أنه ربما يتوضأ أو يأخذ دشا دافئ....

اغلقت الباب وقفت بمنتصف الغرفة وأمام

عينيها طريق ملطخاً بالآثام....شعرت أنه سيخرج من الحمام فأنتابها الرعب فجأة وركضت تختبأ خلف ستار النافذة....

خرج "فارس" من الحمام بصدره العاري وجفف رأسه بالمنشفة...فجأة شعر بأنفاس حوله فألتفت ينظر بعدة اتجاهات بالغرفة....

ارتجف جسد "صابرين" بعنف من هول ما اقدمت عليه ، لم تشعر بذلك الا عندما رأته أمامها....كتمت فمها من الدموع والشهقات حتى ارتدى "فارس" ملابسه وبدأ يقيم الليل....كان يقرأ القرآن بصوتٍ جميل وواضح...نقي من التبلد بل وكأنه يشعر بكل حرف يقرأه...حتى أنتهى من أداء اربع ركعات مثنى مثنى....ثم توقف وقرأ سورة يوسف وبعض آيات من

سورة البقرة...كانت كل كلمة وكأنها وجهت لها...التوبة الذي لابد أن تسارع بها ، الجحيم

الذي سيلحق بالظالمين....والجنة التي وعد الله بها المؤمنين....

خرت باكية بدموع القهر والخزي بعدما استمعت لترتيله....لم يظل الشيطان مع آيات رب العالمين بل فر هارباً منها ولكنه لم يرحل بل ضعف كيده فقط....توقف "فارس" عندما سمع صوتها واستدار بذهول....

ليجدها تضع أحد يديها على فمها ببكاء حارق والأيد الأخرى تضم بها الشال الحريري لصدرها الشبه عاري..

وقف مصدوما لما يراه...لم يصدق أنها بهذا القبح أمامه.....تجمد في مكانه حتى قال : « هل

أتيت بهذا الرداء الفاضح حتى....»

لم يتابع حديثه حتى انتفضت من البكاء أكثر...التهبت نظرته بالغضب حتى القي عليها دِثار فراشه لتستر جسدها فكأنها وجدت كنز ثمين والتفت بالِدثار وهي تبك بشدة فقال بعنف :

_« كان متبقي عدة أعذار ، ودعم....ولكنك فقدتي احترامك بعيني للأبد....أخرجي من منزلي ولا تمري حتى من أمامه مرةٌ أخرى....لا أطيق رؤيتك ايتها الساقطة....»

رفعت عينيها اليه ببكاء وصدمة..هزت رأسها بقوة ورفض وقالت :

_« لست ساقطة...أنا....»

قاطعها بنبرة شرسة وهو ينظر بعيداً عنها وهتف :

_« عاهرة....من تأتي لغرفة رجل بهذه الملابس الفاضحة ليست أقل من عاهرة...اخرجي من هنا قبل أن القيكِ خارجاً..»

لم يفلح الشيطان بترويضه...لماذا اذن تغلب عليها ؟!

الإجابة واضحة...لا تحتاج لكثير من الفهم....هي من افسحت الطرق ولم تتسلح بالعبادات....أن يلتف حولها الملائكة شيء وأن يلتف حولها الشياطين ومردته شيء آخر...أن ترضخ لأولى خطوات الشيطان شيء...وأن تجاهد نفسها وتستقيم بالطريق شيء آخر..... طريقين ووضع الاختيار بيد البشر....وبالنهاية نتيجة المسير...ويلًا لقلبها بالأيام الآتية....يبدو

أنه كان سيعطيها فرصة أخرى لولا ما حدث...لربما كانت الفرصة الأخرى تجعله يشعر بها من يعرف !

ركضت من أمامه بأسرع ما في قوتها حتى اختفت من أمامه....أغمض "فارس" عينيه بقوة...وأخذ نفساً عميقاً من رئتيه وقلبه يحمد سرا أنه لم ينصاع لوساوس الشيطان...لضعفه البشري...الذي لا ينكره بينه وبين نفسه أنه انتابه بعض الضعف...ولكن تنفس شاكراً لرب العالمين من تخلصيه من هذا الذنب الذي كان سينهيه ندماً...ولهذا الفتاة الذي سابقاً رق قلبه للحظات... لها !!

****

وقفت "صابرين" بحمام غرفتها بالطابق الأرضي أسفل دوش المياه....استقبلت الماء البارد بترحيب وكأنها تعاقب نفسها...كانت تبكي بقهر وترتجف ورغم أن لا شيء حدث بينهما الا انها تشعر بالعار والخزي.....طعنها كلماته الساخطة وقبل كلمات القرآن الكريم التي جعلتها تبكي بندم شديد....ليتها لم تفعل ما فعلته...اقلًا كانت ستذهب مع قليل من الاحترام يكنّه لها...ولكن الآن هي بنظره عاهرة...نعم عاهرة !!

وكيف لم تكن وهي توجهت للإيقاع به !!! هي عاهرة....

ترددت الكلمة على شفتيها بأعين ترتجف من الصدمة من نفسها والذهول حتى سقطت على

قدميها وتابعت بكائها المرير لساعاتٍ....خرجت وهي تنتفض بشدة وتجر قدميها وهي تستند على الحائط...لمحت الدِثار الخاص بفراشه فخشيت أن يظن احد شيء به فتوجت لأخذه بقدمين لا تحملها...فتحت نافذة غرفتها والقت الدِثار بعيدًا بجهة الحديقة وكأنه سقط بعيدا عن غرفتها...المهم أن لا تتسبب له بأي أذى حتى لو مجرد ظن...

استندت على الحائط مجددا بوجه شاحب تاهت منه الدماء وسقطت مغشياً عليها....

الفصل الخامس

تناغم صوت الأمطار بهذا الصباح مع احلامها...
يبدو وكأنها تاهت لعام مضى ولم تفيق من غشاوتها...تحرك جفنيها ببطء لتسقط نظرتها على الذي يقف مواليًا ظهره لها ويقف أمام النافذة بصمت....ثم لتلك اليد الحنونة التي تربت على يديها وكانت السيدة "حكمت" التي تطلع بها بقلق شديد ويبدو أنها لا تعرف شيء عن ما كاد يحدث بساعات الليل.....قال السيدة برقة :

_ « أبنتي....ماذا حدث لكِ ؟! عندما دلفت "نعمة" لغرفتك فجراً وجدتك على الأرض مُغشى عليكِ...يبدو أنها نزلة الفونزا شديدة لتفعل بكِ

هكذا ! »

نظرت "صابرين" لذلك الذي يقف على بُعد خطوات منها ولا ينظر اليها كأنه لا يكترث....انخرطت في حالة من البكاء الشديد فجأة وقالت وهي تحاول النهوض : « سأرحل من هنا...»

اندهشت السيدة "حكمت" من قرارها بالرحيل ريثما بهذه الحالة أيضاً وقالت :« لمَ ؟! هل من ضايقك هنا ؟! أخبريني »

ابتلعت "صابرين" ريقها الجاف تقريبًا وقالت بنظرة منكسرة :

_« لا...يبدو أنني من تضيق الأخرين...لابد أن أرحل..»

اعترضت السيدة "حكمت" حتى تدخل فارس بالحديث دون أن يلتفت لهما وقال بنبرة قوية :

« سيأتي الطبيب بعد قليل...ابقِ مكانك...»

استدار بنظرة مبتعدة عنها وخرج من الغرفة بخطوات واسعة....نظرت "صابرين " للأسفل واغمضت عينيها بكسرة لم تشعر بها من قبل...لتقل السيدة "حكمت" بلطف :

_« لمَ كل هذا الحزن ؟ هل تحدثت مع أحد بعائلتك لتبدي بكل هذا الحزن؟! »

وجدت "صابرين" من ظنها مبرر لحالتها هذه فهزت رأسها بالإيجاب...كذبت حتى تخفي النيران المستعرة بداخلها من فرط شعورها بالندم....

قالت المرأة بحنان :

« أخبرتك أنك أبنتي ، وكنت سأطلب منك شيء يخصني بشدة...»

مسحت "صابرين" عينيها وقالت سريعاً : « اطلبي ما تشائين وسأنفذ فوراً..»

ابتسمت لها السيدة "حكمت" وقالت :

_« كنت سأطلب منك متابعة ترتيبات زفاف فارس ومريمة مع نعمة ، أنتِ ترين حالتي المرضية التي لا زمتني منذ شهرين...لا أريد أي شيء ناقص بالزفاف مثلما رتبته من قبل....أنا اوليك هذا الأمر لأنك أصبحتِ قريبة مني وأثق بك...لا تتعجبي أنا أعرف بمن أثق حتى لو بعد معرفة سريعة....»

اغمضت "صابرين" عينيها بطعنة غرزت بقلبها...هل ستزفه لفتاة أخرى أيضاً !! هذا

كثيرا على تحملها وثباتها....

ولو تعرف تلك السيدة الطيبة ما كادت تفعله لما نظرت اليها بمحبة هكذا بل كانت ستطردها في الحال....ما باتت تعرف اتندم على مجيئها هنا أو تتخذه بداية التوبة وتحمل كل ما تحمل من الم وترحل...

تأملتها السيدة "حكمت" بترقب حتى قالت :

_« هل اثقل الأمر عليكِ ؟ لا تخافي نعمة معكِ..»

نعم الأمر ثقيل حد الدمار ولكنها ستقبل...ربما يكن هذا كلمة اعتذار تقدمها له قبل أن ترحل من هنا بلا راجعة....أخذت يد السيدة حكمت وضمتها بين يديها بأناملها المرتجفة وقالت :

« كما تشائين...»

****

مرت عدة أيام بعد هذا الصباح...ليأتي مساء يوم ووقفت "صابرين" أمام مرآتها مجدداً وكأنها اصبحت المشاركة لأخذ قراراتها ولكنها اليوم وقفت وهي ترتدي الحجاب لأول مرة...تسربت دموعها التي تنفك عن النزول طيلة الأيام الماضية بندم شديد حتى أنخا تجنبت تمامًا حتى النظر إليه أو الاقتراب ولو بعدة أمتار....قصدت البُعد تمامًا..

يبدو أننا عندما نشعر بخطوات الفراق تقترب لابد أن نبتعد خطوة بإرادتنا...لتكن صفعة الفراق

أقل الم..ولا تنل من قلوبنا الحياة فلا نستطع بعد الفراق المضي قدماً..

كانت على وضوء وبدأت تقيم الليل...بغرفتها المغلقة ، لا احد يسمعها ، ولا يراها ، ولا تريد انتباه أحد ، ما تريد هو التحدث مع ربها والبكاء والتذلل والندم حتى يغفر لها فعلتها الشنيعة...

هبط "فارس" للطابق الأرضي ليعد لنفسه كوب من القهوة سريعاً اشتاق له حتى توقف وهو يسير أمام غرفتها...كان على بُعد اكتر من متراً ولكنه سمع صوت بكائها واستغفارها....حتى قالت كلمات هزته بشدة :

_« يالله أنا احببته وحار قلبي بمحبته...اعني على نسيانه لكي لا اتعذب أكثر من ذلك....أعني

يا الله وارزقه السعادة مع مريمة...

كنت تائهة وأتيت إليه بتيهتي فأرشدني إليك بإيمانه...سيطر على عقلي شيطاني ولكنك تعرف يا الله أنني لست بهذا السوء...ارزقه ما يتمناه مثلما جعلته سببا لأعود إليك...وأغفر لي وارحمني...»

وسمع صوت بكائها من جديد بقوة....

ارتبكت نظرة "فارس" بشيء غريب وازدرد ريقه بقوة حتى عاد لغرفته ويبدو أنه غفل عن اشتياقه للقهوة...

****

أتى الصباح بطقس معتدل لهذا اليوم....قد أخذ

"فارس" عطلة لعدة أيام بسبب مرض والدته التي كان يأتيها الطبيب للفحص كل يومين....وبعد تناول طعام الفطار بغرفة والدته توجه إلى غرفته ليجد رسالة على هاتفه على أحد تطبيقات المراسلة الالكترونية.....فتح الرسالة ليجدها من نفس الرقم الذي ارسل له فيديوهات "صابرين" الغنائية الخليعة.....مع كلمات موضحة.

_« إذا كنت ارسلت اليك الفيديوهات الماضية لتعرف حقيقتها فهذا الفيديو ارسله لأن هذه الفتاة مسكينة وقد تابت عما فعلته ...هذا الفيديو رفعته هي منذ ساعة تقريبًا وحقق مشاهدة عالية في دقائق وأثار الأقاويل بين ساخرين ومؤيدين من الفتيات اللائي منهم مَن فعلن مثلها

تأثراً بتوبتها....»

فتح "فارس" الفيديو التي تظهر به "صابرين " بحجابها وهي تبك وتعلن توبتها عما فعلت مع نصح جميع من شاهدوها بأن يكفوا عن هذه الحماقات وتتبرأ امام الله والجميع من الفائت بكامله...كان المقطع ببكائها الصادق مؤثراً لحد كبير....هز شيء اكبر بداخله....للحظة شعر أنها أفضل منه عند الله ولكن هذا الأمر لا يعرفه سوى الله عز وجل...

دلف لغرفته بنظرة لا ترى شيء بل شارداً.....

قرعت مدبرة المنزل بابه بعد مرور ساعتين لتخبره بقدوم مريمة لرؤية السيدة "حكمت" والاطمئنان على صحتها....تنفس براحة لمجيء تلك الفتاة التي تشبه الملائكة....مجرد اسمها

يشيد بداخله أبنية جديدة من السكينة والهدوء....نهض لاستقبالها...

****

بعدما جلست "مريمة" مع والدة فارس واطمئنت على صحتها غادرت الغرفة برفقة فارس وتركت زوجة أبيها تجلس معها...اجلسها "فارس" بالحديقة على مقعد وجلس امامها وقال بابتسامة :

_« الطقس اليوم معتدل...هل تشعرين بالبرد هنا ؟ »

ابتسمت مريمة بنظرتها الثابتة امامها وأجابت برقة :

_« لا...أحب الجلوس تحت المطر..وربما الركض ولكني اقلق من الأمر...»

ربت "فارس" على يدها بحنان وقال :

_« لا تقلقي من شيء...سأجعلك تركضين ويدي بيدك...»

قالت "مريمة" شاردة وتساءلت : «

فارس....هل الدموع تشبه المطر ؟ »

تعجب فارس من سؤالها فتابعت مبتسمة بمرح :

« كان حديث "صابرين" منذ عدة أيام به تلك الكلمات عندما تحدثت معها لأول مرة...أنا رأيت الدموع بمنامي فكنت أحب أن أعرف هل تشبه المطر ؟..لأتخيله..»

لاحظ "فارس" اقتراب "صابرين" من البعيد وهي تنظر لما بيدها فقط واخفى حجابها تلك

الخصلات الحمراء المتمردة بينما اخفى ردائها الفضفاض جسدها واخفى فتنته....انسحبت نظرته لمريمة وكاد أن يُجيبها حتى وثب من مقعده قائمـًا عندما تعثرت "صابرين" بردائها الطويل وسقطت وسقط المشروب الدافئ على ملابسها وصرخت...

هتف بلهفة : « صـــابرين ! »

كان بصوته لهفة شديد وظاهرة وركض اليها....نهضت "صابرين" قبل أن يصل اليها واعتذرت دون أن تنظر اليه وكأنها انتهجت طريقته..قالت :

_« اعتذر...سأنظف المكان وارسل مشروب غير الذي انسكب....»

قال بقلق :« أنتِ بخير ؟ »

ابتلعت ريقها بتوتر وارتباك وهزت رأسها بالإيجاب ثم رحلت....وقف "فارس" تائهاً للحظات ثم نظر لـ "مريمة" التي تعابير وجهها لا تقل شيء...صمتت بأي رد فعل ممكن أن تشعر به..

اقترب بخطوات مترقبة حتى جلس أمامها مجدداً وقال محاولا ظهور الابتسامة بصوته كلافته اعتذار :

_« اعتذر للمقاطعة...هيا تابعي...ماذا كنتِ تقولين ؟ »

ظلت "مريمة" صامته للحظات ثم ابتسمت بالتدريج وبادلها ابتسامتها وهو يتنفس الصعداء....

وقد ارسلت "صابرين" احداً آخر بالمشروبات

ولتنظيف المكان....ودلف لغرفتها باكية.....كان لهفته اكبرعقاب ممكن أن ينالها بهذه الفترة خصيصا من الندم...تمنت أن لا يكن تسلل من يغرق بقلبها الى قلبه.. .مريمة الرقيقة لا تستحق هذا....

احبت تلك الفتاة بقدر محبة الجميع لها...احبتها لأنها تستحق أن تقترن برجل مثل "فارس" نظرتها لها تبدلت للنقيض والأكثر عندما تحدثت معها احاديث سريعة....

لم تعرف "صابرين" أن الأماني لن تغمر العباد الا بالدعوات واستجابة الله برضا عن عباده وهذا لن تناله بطريق الشيطان..

بقدر محبتها له وولـه قلبها به بقدر أنها أصبحت

تتمنى أن لا يكن مال اليها وتعجبت...اتلفت انتباهه وهي تتعمد غير ذلك وعندما كانت تفعل كل شيء يثير انتباه رجل لم يرف له جفن اتجاهها !!

جلست على فراشها وادمعت عينيها بدعوات صامته...وودت لو ترحل من هنا الآن....

****

مرت الأيام عليها بين دموعها التائبة وحيرته.....تبقّى على الزفاف يومين فقط وقد حضر والده وتجمع الأهل استعداداً للزفاف.....

اعدت مدبرة المنزل فنجانين من القهوة وقالت لـ "صابرين" :

_« خذي القهوة الى مكتب السيد "عمران" »

اخذت "صابرين" القهوة ببعض الإرهاق الظاهر على وجهها من ترتيبات الزفاف الذي جعلتها في

حركة دائمة طيلة ساعات النهار حتى يأتي الليل....ذهبت لمكتب السيد "عمران" بالطابق الأرضي وعلى بُعد خطوات منها حتى وجدت باب المكتب مفتوح فدلفت بعدما اطرقت للاستئذان....قال "فارس" بهدوء :« ادخلي »

نظرت بالمكتب فلم تجد سوى "فارس" بمفرده...فهم سبب توترها وقال موضحاً :

« أبي سيأتي بعد قليل ، يتحدث بالهاتف...»

لم يكن عليه الاستفسار ولم تعرف لمَ أوضح

لها.....توجهت اليه ووضعت صينية القهوة على المكتب الخشبي الفخم....ثم قالت شيء ترددت كثيراً لقوله بتلك الأيام الماضية :« أنا....»

لاحظ تلعثمها فسألها سريعا : « أنتِ ماذا ؟ »

ابتلعت "صابرين" غصة مؤلمة بحلقها وقالت والحزن يضج بعينيها :

_« سأرحل بيوم الزفاف....حينما ينتهي كل شيء...»

قالت جملتها دون قصد رغم أنها شرحت ما تشعر به.....نهض "فارس" ووقف أمام النافذة بصمت تام....ولم يُجيب...ولكنها صححت :

_« اقصد عقب انتهاء التجهيزات للزفاف والتي تعهدت بإتمامها للسيدة "حكمت" سأشتاق اليها

كثيراً...لا أعرف أن كنت سأراها مجدداً أم لا....»

أغمض "فارس" عينيه بقوة ولكنه لم يجيب....استأذنت "صابرين" لتذهب وهي تتحكم بدموعها بالكاد.....

فتح "فارس" عينيه للسماء الممطرة من خلال النافذة أمامه وقال بصوتٍ صادر من أعماق قلبه كلمة واحدة : « يا الله »

****

كانت رحلتها بهذا المنزل رحلة توبة أكثر منها عذاب...أخذت من هذا المنزل ذكريات ستتذكرها طيلة عمرها....والعذاب أنها سترحل عنه للأبد لا

سبيل لرؤيته وهو مع غيرها...ستتعذب أكثر والعدل في ابتعادها عنه ولا تأخذ من تفكيره حيز ولو صغيراً.....

واتى يوم الزفاف.....كانت تطوف بين الحضور بالمشروبات ، ابتعدت تمامًا عن رؤيته والنظر إليه وفعل هو مثلها...كلاهما كان يتجنب الآخر....

وانتهى الزفاف الذي نظم بالمنزل وصعد "فارس" لغرفته التي تبدلت لغرفة أخرى كبيرة جداً بأثاث جديد مع عروسه التي طلت كالفراشة البيضاء....

وقفت "صابرين" تنظر اليه بعينيها الغارقة بالدموع وهو يصعد خطوة خطوة مع عروسه....كان في صعوده وابتعاده عنها طعنات

تغرز بقلبها....اغمضت عينيها وفرت دموعها على وجنتيها وهربت لغرفتها.....

****

نسمات الليل تحوم حولها برقة ، تعطر انفاسها برحيق من السعادة ليومها الأول.....بعدما ساعدها فارس لتبديل فستان الزفاف وتوضأت لتؤدي صلاة شكر لرب العالمين مع زوجها.... اتمت الصلاة معه ونهضت...وقفت أمامه وقالت بحياء :

_« كنت أريد أن افعل شيء ولكني شعرت بالخجل في طلبه...»

نظر اليها فارس بحنان لرقتها وقال :« اطلبي أي شيء »

رفعت "مريمة" أناملها إلى وجهه لتشعر بها

ومرت انـاملها الرقيقة على ملامحه وهي تبتسم بحياء....جذبها "فارس" اليه وقال بتنـهيدة بـها شيء يتألم :

«خذيني إليك يا مريمة...خذيني من كل شيء...أنـا اطمئن بكِ...»

ربتت "مريمة" على كتفيه بحنـان وقالت بـهمس :

_« تذكر دائمـًا أنني أحبك....تذكر ذلك لأجل مريمة...تمرتك »

لا يعرف أن قالت ذلك لأنـها تشعر بشيء أو قالت ذلك مصادفةً....

ضمـها بقوة وهو يدفن رأسـها بعنقها :

« وستظلين تمرتي.... مريمة..عندما أنظر

إليكِ...التقي بشيء تاه مني وسكن بعينيكِ...أنتِ

قريبة جدًا يا مريمة...قريبة جدًا....»

قالت بخجل : « حديثك يُربكني...»

تنهد بقوة وقال : « أتخافين مني ؟ »

قالت بنفي :

« لا أخاف...أنت زاوية الأمان التي وإن خفتُ ولجت إليها لأحتمي...ولكن أشعر بنبضي يعلو...وجسدي يرتجف...وأود لو اركض ولكني مقيدة البصر لا أرى...حارَ قلبي بين الابتسامة والحياء وأنت الأقرب وإن ابتعدت..»

قال وقد انست كلماتها كل شيء أو ربما تناسى :

« كنت أود لو استطع أن ارحم حيائك اليوم ولكني لن افعل...انتظرتك كثيراً يا تمرتي...»

****

استطاعت "صابرين" أن تتسلل من المنزل بانشغال الحارس مع الخدم في ترتيب المنزل بالداخل....حملت "صابرين" حقيبتها وسارت بالطريق المظلم....

دموعها ترتجف على وجنتيها بكسرة...خطواتها تائهة ، ضائعة ، كأنها فقدت ذاكرتها ولا تعرف من هي...

نظرت للسماء المظلمة ورفعت يديها باكية بحزن شديد وقالت :

_« يارب...أعنّي....»

أغرقها المطر وأغرق يديها وعينيها الدامعة

وقلبها الذي ينزف الم....ورحلت عنهم جميعاً

إلى أين لا تعرف.....

احيانا نريد أن نخرج منا...نكون أشخاص

أخرون ، نمحي ما مضى من ذكريات ونتعرف

على الحياة من جديد...

****

بعد مرور أربع سنوات.....

ركضت طفلة صغيرة للطابق الثاني وهي تستند

على درجات السلم بردائها الطفولي

القصير....حتى صعدت للطابق بعد مشقة

وهرعت لغرفة والدتها....

وجدت باب الغرفة مفتوح على مصراعيه وامها

تجلس على سجادة الصلاة بعد انتهاء فرضها...هتفت الطفلة وقالت بمرح :

_« أمي..أمي »

ابتسمت "مريمة" لطفلتها الصغيرة وقالت بمحبة : « صابرين ! »

سميت الطفلة باسم الفتاة التي رحلت دون وداع وحزن على فراقها الجميع...فقد طبعت أثر طيب قبل رحيلها من المنزل عقب الزفاف...ضمت "مريمة" ابنتها صابرين وقالت بمشاكسة :

_« قولي ما عندك ايتها القردة الصغيرة..»

قهقهت صابرين الصغيرة من الضحك وقالت بمكر : « أبي..سيارته بالخارج...عاد ...»

تنفست "مريمة" براحة وحمدت ربها حتى ركضت الصغيرة من بين يديها مرةً

أخرى...نهضت وهي تفرد ذراعيها أمامها وتخطو بلهفة قلبها لترى زوجها "فارس" الذي سافر منذ أيام وعاد تواً...

وبالطابق الأرضي....ركضت صابرين الصغيرة من أمام مدبرة المنزل التي ابتسمت لها حتى استقبلها والدها "فارس" وذراعيه مفتوحة وسعادة امتزج بها حنان بعينيه حتى رفعها للأعلى فارتفعت ضحكة الصغيرة.....قبلها من جبينها وقال : « صابرين حبيبتي الصغيرة....»

التفت يد الصغيرة حول عنقه وهمست :

_« هل الدمى معك أم بالسيارة ؟ »

ضحك "فارس" رغماً عنه وأحب أن يشاكسها فقال : « لم اجلب دمى لكِ....»

عبس وجه الصغيرة ونظرت لكتفيه في خصام

بريء حتى قالت بضيق :

_« اتركني اذن...سأرحل...»

شرد "فارس" قليلًا وتاهت الابتسامة عن وجهه

فضم ابنته بقوة وهو يتنهد بحدة وقال وهو يغمض عينيه : « لن ادعك ترحلي عني...»

وتابع وهو ينظر بابتسامة لعينيها التي تشبه عينيه لحد كبير وقال :

_« أتيت بكل الدمى التي تحبينها ، مهلًا وسيأتي بها السائق يا مشاكسة..»

انزلها على الارض وهي تصيح بمرح وضحكة حتى ركضت للسيارة بالخارج.....وقف "فارس" محاولًا طرد هذا الشبح من ذاكرته ومضى في طريقه حتى انتبه لصوت "مريمة " التي تهبط

الدرجات بسرعة عالية وبلهفة حتى تعثرت وسقطت على الدرج ليطرق رأسها بقوة عند كل درجة فاتسعت عين فارس بذهول واسرع اليها بفزع...

ثبت جسد "مريمة" عند أحد الدرجات حتى اتى اليها مفزوعاً وقال بذعر :

_« مريمة...حبيبتي ،ماذا حدث لكِ ؟ »

صاح للخدم حتى اتت مدبرة المنزل اليه وشهقت من الفزع لرؤية الدماء تغطي رأس "مريمة" وصاح :

_« اتصلي بالأسعاف فورا....هيا »

حمل "فارس" مريمة ودمعة تتمايل بعينيه حتى الطابق الأرضي ووضعها على الأريكة بمحاولة اسعافها سريعاً حتى تأتي سيارة

الاسعاف...اوقفته "مريمة" وقالت بصوت ضعيف : « فارس...لا تذهب ، انتظر »

اقترب اليها بدمعة مرت من عينيه وقال : « لا تقلقي حبيبتي ، ستكونين بخير....»

ابتسمت "مريمة" ببطء مع وخزا الألم برأسها وقالت :

_« يبدو أنني سأذهب إلى أمي...يا الله كم اشتقت اليها...سأخبر الله أنك كنت أحن علي من مني... وأنك لم تؤلمني ولو بكلمة...كنت صديق قبل أي شيء وحبيب طفولتي وشبابي..»

هز فارس رأسه برفض وقال بدموع عينيه : « لا تقولي هذا مريمة ارجوك !! »

اطرفت مريمة عينيها ونظرت بعينيه باتجاهها الصحيح لأول مرة وكأنها تراه وقالت :

« ابحث عن صابرين...»

هتف "فارس" على ابنته فقالت "مريمة" :

« لا اقصد طفلتنا....سأذهب وأنا مطمئنة أن كانت صابرين معك...ستعتني بك وبأطفالنا....»

صُدم "فارس" صدمة عمره من حديثها والغريب انها قالت ذلك وتبدو راضية تماما فقال :

« لمَ ابحث عنها ؟!! »

تسارعت أنفاس "مريمة" وقالت بكلمات بالكاد خرجت من فمها قبل أن تُفارق الحياة :

_« لها بقلبك شيء...»

****

ربما كتب لهما اللقاء مرةً أخرى....تمت بحمد الله